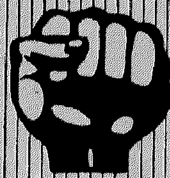
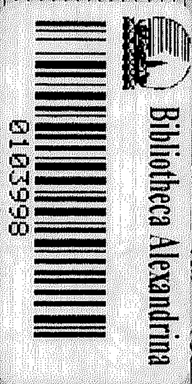
الوقائع التي سطرها شعب



بليتسيا لانفر





فيليتسيا لانغر

الوقائع
التي سطرها شعب

سجل أمين وحافل لمحاولة ابعاد
رئيس بلدية نابلس
بسام الشكعة

دار الحقائق

الطبعـــة الثانية

١٩٨٠

المؤلف : سليمان منصــور

مقدمة الطبعة الثانية

الوقائع التي سطرها شعب ، كتاب فيليتسيا لانغر المحامية التقدمية ، التي تتولى الدفاع عن المعتقلين والسجناء العرب في الارض المحتلة ، وقد ترجمت نضالها الديمقراطي بتبني قضية المناضل بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس ، ومنع السلطات الصهيونية في الاراضي المحتلة من تنفيذ قرارها بالابعاد .

ان هذا الكتاب يروي بوضوح مراحل تطور هذه الوقائع التي سطرها الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة في نضاله ضد سلطات الاحتلال الصهيوني ، وفي تضامنه مع المناضل بسام الشكعة لمنع ابعاده عن وطنه فلسطين .

واننا اذ نقدم هذا الكتاب ، كما هو دون زيادة او نقصان وكما منعته سلطات الاحتلال الصهيوني من التداول في الاراضي المحتلة ، انما نهدف من وراء ذلك الى وضع جماهير الامة العربية في صورة الوقائع التي سطرها ويسطرها الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة كل يوم في وجه الاحتلال الصهيوني ، ومقاومته .

آب ١٩٨٠

مقدمة بقلم

بسام الشكعة

عندما طلب الي ان أكتب مقدمة للكتاب الذي تنوي الاخت فيليتسيا اصدارد عن قضيتي ، شعرت لاول وهلة بالحرج اذ تساءلت هل من الطبيعي ان يقدم الانسان نفسه ؟ ولكن سرعان ما زال الحرج في الجواب العفوي والواقعي الكامن في وعيي وشعوري وهوانني كنت جزءا من قضية ولم يكن موقفي او تصرفاتي الا جزءا من موقف شعب امتدت ابعاده لارجاء المعمورة ، منطلقة من الجذور الوطنية والقومية والانسانية لهذا الشعب ، حيث اتصلت بالحقائق الكامنة في التكوين الانساني للمجتمع الاسرائيلي .

ومن هنا برزت الميزة السياسية الهامة لقضيتي ، كما برز دور الاخت الانسانة فيليتسيا ، التي تفاعلت منذ اللحظات الاولى مع القضية بفهم عميق لها ولابعادها فاستندت الى القانون لدعم الواقع السياسي ، ونتيجة لذلك كانت فضيحة الحكم العسكري وسياسة الحكومة الاسرائيلية ، فاقترن دور فيليتسيا المحامية بفيليتسيا الانسانة فكانت موقفا وعطاء بمستوى القضية والانتصار ..

لقد كانت فيليتسيا فيدورها هذا منجزة شعبها ونموذجا رائعا للانسان ، وهذا ما جعلها اكبر من كل الانتقادات والتحديات المباشرة وغير المباشرة التي واجهتها .

لقد عجز قرار الاعتقال والابعاد ان يبرر نفسه سياسيا

واخلاقيا وقانونيا امام الراي العام الاسرائيلي وفقد القدرة على الدفاع عن نفسه .

لقد اعطى شعبنا موقف العمق الوطني والبعد الانساني بوحدته الوطنية ونضاله القوي والصلب ضد القرار وكان لاستجابة الشعب بالنضال الوطني الاثر الكبير والفعال في تحقيق الانتصار . وللحقيقة والتاريخ فان الموقف العربي الرسمي لم يكن بمستوى الاستجابة العالمية وهذا ما يؤكد ضعف الحلقة العربية وعدم قدرتها على تحقيق الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني ولقضية السلام العادل في المنطقة.

لقد استكملت القضية كل شروط انتصارها وقمت بدوري كعربي فلسطيني وانسان ، وكذلك قامت زوجتي وعائلتي بالتزام كامل لدورهم في جميع حلقات القضية ، ومن اقوى العوامل الضاغطة موقف اخواني اعضاء المجلس البلدي واهل المدينة ورد فعلهم السريع والعالي في تجاوبه ، وكذلك اخواني رؤساء البلديات والمجالس القروية الذين اعطوا الوحدة الوطنية عمقها وتأثيرها الكبير باستقالتهم الجماعية ولا بد من تسجيل الموقف البارز لموظفي البلدية في هذا المجال .

كما قامت لجنة التوجيه الوطني بدورها كاملا كل هذه العوامل الضاغطة اضطرت الحكومة الاسرائيلية للتراجع عن قرارها .

وقد توجت منظمة التحرير الفلسطينية ذلك كله بتحركها القيادي الرائد وعلى كل المستويات مما عزز تحقيق الانتصار .

اعود لاختم مقدمتي هذه فاقول تحققت كل شروط الانتصار متجية الى كل الذين ساهموا فيه فقد كان انتصار للمواطنين وللشعب وللانسان وان كان هنالك من مجال لتسجيل البطولات فنيليتسيا استحقتها .

بسام الشكعة

فيليتسيا .. لن تبقى ظاهرة !

... منذ « بأم عيني » ، « أولائك اخواني » ، « من مفكرتي » وحتى هذا الكتاب الوثائقي ، استطاعت فيليتسيا لانغر ، هذه المحامية التي تقف في طليعة القوى الديمقراطية اليهودية المتضامنة مع قضية شعبنا الفلسطيني العادلة ان تحظى بمكانة خاصة في ضمير وذاكرة الشعب الذي لا يزال يعاني من سياسة الدمار والحروب التي يمارسها حكام الدولة التي تعيش فيها ، اسرائيل ، منذ اكثر من ثلاثين عاما هي عمر النكبة واكثر .

ذلك أن قارىء هذه الكتب الوثائقية يدرك كم هو عظيم هذا الدور الذي تؤديه فيليتسيا ، سواء من خلال عملها كمحامية او من خلال مشاركتها في مؤتمرات محلية ودولية لنصرة قضيتنا ، عدا عن مواقفها التقدمية التي لا تتأخر لحظة في اعلانها ، الداعية الى انهاء الاحتلال والاقرار بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير .

الوثائق التي سطرها شعب ، سجل امين يحكي قصة اعتقال رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة في اواخر العام الماضي رغم المحاذير القانونية التي حالت دون نشر المزيد من التفاصيل حول الموضوع .

مع ذلك فان ما يثلج صدورنا ان فيليتسيا لم تعد ظاهرة

في المجتمع الاسرائيلي .. وواجبنا ، كل واجبنا ، أن نعمل على تبني هده « الظاهرة » ايمانا منا بأن اهمية كبرى لقضية السلام العادل تكمن وراء ذلك .

الناشر

المقـــدمة

اسمتها الصحافة « قضية الشكعة » . وكان هناك مـــن دعاها « سلسلة من الاخطاء » التي ابستمرت ما يقـــارب الشهر . احد الاشهر الطويلة والصعبة بالنسبة للكل .

كان هذا شهرا دوى فيه صوت الشعب من خلال هــدوء مدنه المضربة ضد الظلم والغبن ، بأرادة صخرية .

كان هذا شهرا اعلن فيه جميع رؤساء البلديات المنتخبون « كلنا بسام الشكعة » واستجاب لهم الشعب كالصدى .

كان هذا شهرا ردد العالم فيـــه صدى صوت الشعب المضطهد من خلال احد أبنائه ، وحظي باستجابة كل جماهير الانسانية اينما كانوا .

كان هذا شهرا خرج فيه العديد من ابناء شعبي ضــــد الغبن المتمثل بالطرد ـــ طرد انسان من وطنه . وهم الذيـــن شجعوني ، وبهم أفتخر .

كان هذا شهرا حاربت فيه امراة باسم عناية الشكعة من اجل زوجها ، كفلسطينية ، كمواطنة من نابلس ، ولم تؤمـــن ولو للحظة بأنه سيطرد ، او ان الكذب سينتصر .

كان هذا شهرا احتجز فيه في سجن الرملة انسان في ركن معزول لابعاده عن كل شيء ، وكان رغم ذلك قريبا من الكل ورددت اسمه ملايين الشفاه .

صام ، وتغـذى حـب البشرية التي اخترقـت القضبان مستمدا شجاعته منها ، واصراره على عدم الخنوع .

ان يدي عاجزة عن اعادة وقائع هذا الشهر بكل عظمتـه باخلاص . وعذري الى اولئك الذين نظلمهم في دورهم او في الاقلال من وصف هذا الدور بسبب الحظر الذي يقيد يدي ولكن كل الصفحات بيد الشعب وله ايضا جزيل شكري .

فيليتسيا لانغر

لا اذكر متى عرفت بسام الشكعة لاول مرة . عندما رايته ذات يوم ، سوية مع بقية اعضاء مجلس بلدية نابلس ، خيل الي انني أعرفه سابقــا .

كان ذلك في يوم مكثف بعد زيارتي لسجن نابلس . كان من قابلته هذه المرة المعتقل نادر العفوري ، ابن نابلس . نادر، الذي فقد حواسه بعد اعتقاله قبل ما يقارب السنتين كــان معافى قبل اعتقاله مثلما عرفته قبل ذلك .. ومع مرور الزمن تحطم كلية وفقد أية صلة بالواقع الذي يحيط به. لم يكن بالامكان تقديمه للمحاكمة في وضع كهذا بسبب شك السلطات بانتمائه الــى منظمــة غير قانونية لذلك استصدر ضــده امر بالاعتقال الاداري ، الذي كان بطبيعته اعتقالا وقائيــا فرض على انسان غير متزن فاقد الحواس . ولكن في نفســ الزيارة حدث ما وهو أكثر من ذلك . لقــد أحضر الي وعلى وجهه وجبينه آثار اخماد السجائر التي لا تزال طرية . لم يتحدث الي بل انشغل بمص شفتيه ، كالعادة ، وحمل معــه سر هذه الحقيقة المحفورة على وجهه . ثار غضبي الى درجة الغليان . اصدقاؤه قالوا لي انه اعيد على هذه الحالة مــن مستشفى سجن الرملة قبل فترة قصيرة . سلطات السجــن تجاهلت توجهي لها ، قررت الذهاب الى بلدية نابلس ، ذلك ان من فيها منتخبو الشعب ولكنه في حالات جماهيرية قــد يكون من المفضل ان يحاول احدهم التوجه للحاكم العسكري لمساعدة المعتقل المسكين الذي يعاني اشد انواع العــذاب على بعد عدة مئات من الامتار منهم . بسام كان في مكتبــه . تحدثت اليه والى اعضاء المجلس البلدي واحسست بان الم نادر كان المهم وانهم سيحاولون مساعدتــه . بهــذه الروح اجانبي بسام الشكعة .

لم نستطع التكهن ، آنذاك بأن اسم نادر سيظهر مــرة

اخرى ، بعد شهرين من ذلك ، فيما يتعلق بحادثة مضيرية اخرى .

لقاؤنا الثاني تم في صيف ١٩٧٩ بخصوص المحاكمة التي هددت السلطات بأجرائها ضد بسام الشكعة واعضاء المجلس البلدي في نابلس بتهمة « الجرم الخطير » بالمشاركة بمظاهرة احتجاجية ضد الاستيطان على اراضي قرية روجيب واقامة مستوطنة « الون موريه » التي ارتبطت هي الاخرى بعد ذلك بنفس الشهر الطويل . جلسنا آنذاك في غرفة بسام بحضور اعضاء المجلس البلدي وعدد من الشبان والشابات الذين شاركوا هم ايضا بالمظاهرة واتهموا من قبل الشرطة وبينهم ابنته هناء .

الكل تساءل : كيف يمكن منع الاحتجاج بهدوء ضد الجرم الناجم عن نهب الارض . الكل امتدح التضامن الذي ابداه الاسرائيليون الذين قدموا للتظاهر الى « الون موريه » . الكل ، برئاسة بسام فوضني في هذه القضية ، وابلغتهم انني سأفعل كل شيء لمنع اجرائها (المحاكمة) — الامر الذي نجحت فيه فيما بعد .

في هذه الحالة ، وبينما كان بسام يوقع على التوكيل قال لي مازحا «انني اوقع لك على تفويض مفتوح — لكل حادث» وافقت ، وعندما افترقنا قلت له « آمل الا تحتاجني » .

بعد ذلك طلب مني أصدقائي في الولايات المتحدة أن انقل اليه دعوة الى مؤتمر حول حقوق الانسان الفلسطيني والسلام العادل الذي كان سيعقد في واشنطن ، بالاشتراك مع رئيس بلدية رام‌الله كريم خلف ورئيس بلدية الخليل فهد القواسمي . وقد دعيت انا ايضا الى نفس المؤتمر . لم يسمح لبسام آنذاك بالسفر الى امريكا . قبل سفري افترقنا تلفونيا ، ونقل تحياته للذين دعوه ، واسفه على عدم مقدرته

على الاشتراك معنا في هذا المؤتمر .

في واشنطن احتج عدد من الشخصيات المحاربين من اجل حقوق الانسان على المساس بحقوق رئيس البلدية بسام الشكعة ، في مغادرة بلاده والحضور الى الولايات المتحدة واسماع صوته والاعراب عن رايه في قضية حقوق شعبه . وانضم اليهم زملاؤه رؤساء البلديات الذين حضروا .

لم نعرف آنذاك ماذا يخفي في داخله المستقبل ، وان نفس الاشخاص الذين تعرفوا على اسمه سيحتاجهم في المستقبل.

التحريض

عنوان بهذه اللهجة تصدر الخبر الذي احتل مركز الصفحة الاولى فيجريدة هآرتس منذ السابع من نوفمبر ١٩٧٩ : ((رئيس بلدية نابلس ، بسام الشكعة : انا متضامن كلية مع مقتل ٥ ركاب الباص في شارع الشاطىء . »

فيما يلي نص الخبر : بقلم المحرر العسكري لصحيفة هآرتس : ((اعرب ضباط في الحكم العسكري أمس عن غضبهم لسماع تصريح رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة الذي قال للجنرال داني ماط منسق النشاطات في المناطق انه يتضامن بشكل تام مع مقتل ركاب الباص في شارع الشاطيء وانه طالما ان المشكلة الفلسطينية بدون حل ستظل اعمال كهذه عادلة ومفيدة تبرر نفسها .

« توجهت الى الجنرال ماط وطلبت رده على التصريح المتطرف لرئيس بلدية نابلس . الجنرال ماط قال : الكل سيحفظ وتتم دراسته عندما يحين الوقت لذلك .

« يتبين ان الحادثة التي اعلن فيها بسام الشكعة تاييده

لذبح الاطفال والنساء جرت في بيت الحاكم العسكري ، حيث استدعي للقاء الجنرال هناك . كان موضوع المحادثة رفض بلدية نابلس السماح لسكان المدينة بالتزود بالمياه من بئر حفرها الحكم العسكري على الرغم من نقص المياه في المدينة.

« خلال المحادثة اشتكى الشكعة بأن سلطات السجن تقوم بتعذيب الفلسطينين في السجون. الجنرال ماط سأل الشكعة عن رأيه في ذبح ركاب الباص والقاء الاطفال للنار ، فقال الشكعة : ان يحرق طفل فأنه امر مبالغ فيه ولكن العمل نفسه كان سليما . وقال انه يتضامن بصورة تامة مع اعمال كهذه عادلة طالما ان المشكلة الفلسطينية بدون حل . « طالما ان الاحتلال والقتل موجود عليكم توقع اعمال كهذه . » قال الشكعة .

« على ذلك رد الجنرال ماط ان كون الشكعة يستطيع ان يقول اقوالا كهذه وان يجلس سوية معه حول طاولة واحدة انما يشهد الى أي مدى اسرائيل دولة ديمقراطية . »

« اقوال الشكعة تسجلت من قبل بعض الحضور » .

خلال اليوم سمعت نفس الكلمات تتردد . حتى ان بعضهم طلب نشر محتواها . وكمن يعرف بسام شعرت ان رائحة التحريض تطل من الخبر ولكن لم اتوقع حجمها او ابعادها .

في مساء ذلك اليوم بحثت الكنيست الموضوع والقي الموضوع في فضاء القاعة كقنبلة في اثناء البحث وبيان الحكومة حول ضم وزير وادخال تعديلات في تقسيم الوظائف بين اعضاء الحكومة . الامر يظهر في بروتوكول نفس الجلسة .

موشيه شمير (حلف امناء ارض اسرائيل) : اقترح قبل كل شيء ان يتم بحث تصريحات رئيس بلدية نابلس وتحويل الامر الى رد من رئيس الحكومة على إعلان القتل والتحريض

الذين ادلى به رئيس بلدية نابلس . لا يتمكن للكنيست الا ان تبحث في هذا الموضوع اولا . انه اعلان يدعو الى قتلنا كلنا. يجب على رئيس الحكومة ان يبدا بجملة واحدة هذا الموضوع وابداء رايه باعلان رئيس بلدية نابلس الداعي الى التضامن مع قتلة الاولاد في الباص في شارع الشاطيء . يجب ان يكون هذا الموضوع الاول . لا يمكن ان نتجاوز هذا من جدول اعمالنا .

صوت : يكفي صراخا .

الرئيس ، ب . هليفي : ، سيدي رئيس الحكومة .

رئيس الحكومة مناحيم بيغن : سيدي الرئيس ، سيداتي وسادتي اعضاء الكنيست ، لقد اتخذت الحكومة في جلستها هذا الصباح القرارات التالية : ١ ــ حسب البنود ١٧ (أ) و ٥ (د) لقانون التأسيس : قررت الحكومة تعيين الوزير سمحا ارليخ نائبا لرئيس الحكومة بدلا من وزير المالية .

موشيه شمير : اقارب المقتولين في شارع الشاطيء يريدون معرفة ماذا تقول الكنيست . انهم ينتظرون كلمة في الكنيست من رئيس الحكومة . كلمة واحدة من رئيس الحكومة . انه اعلان رهيب .

الرئيس ، ب . لهيفي : عضو الكنيست شمير ، انني ادعوك للانضباط .

غيئولا كوهين (حلف امناء ارض اسرائيل) : .... تحريض على القتل . حكومة اسرائيل تشجع هذا . الحكم العسكري يشجع هذا .. هذه الحكومة تشجع وقاحتهم . والون موريه يريدون اخلاءها . انه امر ليس امنيا ... لم يعد كذلك . لا تتخفى وراء امر محكمة . انت تتخفى وراء ذلك .

شمعون بيرس : (المعراخ) : .... ثالثا ، ان الخطورة في وضع اسرائيل والمناطق . فعلا ما قاله بسام الشكعة امر خطير لا مثيل له وكان ذلك يتطلب ردا حكوميا فوريا . يستطيع أن يكون مع م.ت.ف أو ضد م.ت.ف. كما يريد .. ولكن ، ان يقر بقتل اليهود في الباص ؟ رئيس بلدية ؟ ولا رد للحكومة ؟ لا رد لوزير الدفاع ؟ ماذا يحدث هنا ؟ متى حدث مثل هذا ؟ .

غيئولا كوهين : انهم مذنبون بذلك .

شمعون بيرس : غيئولا ، لا تضايقيني . متى كان امر كهذا ؟ لقد اعتقدت ان كل هذا البيت يقف وراء امر واحد على الاقل : قتل النساء والاولاد في باص كأسلوب سياسي ؟ الحكومة منشغلة باعادة التنظيم ولا رد لديها ؟ ماذا يحدث هنا ؟ متى حدث امر كهذا ؟ باستمرار يزداد تجاهل موقف سكان المناطق منا ؟

يتسحاك يتسحاكي (الليكود) : من الذي اعطى بسام الشكعة ان يكون رئيس بلدية ؟

شمعون بيرس : السكان انتخبوه . ولكن عند ... ولكن اسمح لي .. قبل كل شيء مباركة عودتك لليكود بعد ان رتبوا لك المصاريف ... كم بلغ ذلك ، ٦٠٪ ؟ ...

يتسحاك يتسحاكي : هذا لا يتعلق بالسؤال .

شمعون بيرس : لا . غير مهم . انا اباركك ، لانك ايضا قطعت الشوط . انا لا اذكر ان رئيس بلدية كان تحدث بهذه اللهجة ؟

اوري افنيري (معسكر شيلي) : سيدي الرئيس ، الكنيست المحترمة . روما تشتعل ونيرون قيصر يلحن ...

الدولة تشتعل والحكومة مشغولة بالعـاب استعراضيـه . الخراب ينتشر ويزداد في كل قطاعات الحياة ، وانا ممسك بقرني الثور واتحدث عن الموضـوع المركزي الذي يثيرنـا خلنا اليوم .

بالامس صرح رئيس بلدية نابلس السيد بسام الشكعة او رد على سؤال للجنرال داني ماط . وانا اريـد ان استبـق القول واقول انني ادين الاعمال الاجراميـة ضـد النسـاء والاطفال غير المحاربين واسرى من اي نوع كان . سـواء كانت تتم على ايدي منظمات فلسطينية او مجرمي حـرب اسرائيليين او ضاربي قنابل قاصفين . لا كفارة ، لا كفـارة لاي عمل اجرامي ، وانا اتحفظ من اقوال رئيس بلدية نابلس ...بعد ان سمعت اقوال وزير الدفاع هذا الصباح .....

حاييم كوفمان (الليكود) : انت فقط تتحفظ ... انت لا تحتج ، كما لو كنت قسما منهم . انه لا يحتج ، انه يديـن : انه لا يندد ، انه فقط متحفظ .

اوري افنيري : طلبت هذا الصباح ، بسبب خطورة الاقوال ، ان احصل من رئيس بلدية نابلس علـى النص الكامل لاقواله وهذه هي :

ايهود اولمرط (الليكود) : انظروا الناطق بلسان م.ت.ف في الكنيست . امر مذهل حقا . الناطق بلسان بلدية نابلس في الكنيست .

اوري افنيري : الاقوال خطيرة وتستحق كل ادانة ، وهذه هي : « ردا على اسئلة الجنرال ماط فيما يتعلق باعمـال الفدائيين قلت ان استمرار الاحتلال والاعمال الاسرائيلية في المناطق المحتلة وجنوب لبنان تـؤدي الى رد ياخـذ شكـل العمليات الفدائية . انا لا اعتقد ان هذه العمليات تنتهي طالما ان الاحتلال مستمر . بالنسبة لعملية الشاطىء قلت ان هذه

العملية جرت ردا على ما تنفذه سلطات اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني داخل المناطق وخارجها ، وقلت هذه العملية عادية » .

انا اريد ان اقول من على هذا المنبر ــ كمن يعتبر نفسه صديق السلام بين اسرائيل والشعب الفلسطيني : ان هذه الاقوال تستحق الادانة بأ يشكل كان . نحن نطالب كل قائد فلسطيني ان يدين ويتحفظ من عمليات كهذه التي نفذت في شارع الشاطيء ..

انا الفت انتباهكم الى ان ما حصلتم عليه بعد كامب ديفيد هو عكس ما اردتم الحصول عليه . ومن يغمض عينيه عن هذه الظاهرة لا يفهم ما يدور اليوم حوله . كان الهدف ، بقدر المستطاع، تنمية قيادة معتدلة ومسؤولة في المناطق المدارة قيادة تحل مكان م.ت.ف. وما حدث انه في المناطق المدارة قامت قيادة اكثر تطرفا من م.ت.ف. وانا اقول اليوم بكامل الوعي وكمن لا يعتبر جاهلا في هذا الامر : انا على ثقة بانه يمكن أن نصل اليوم الى اتفاق مع قيادة م.ت.ف. على اساس مبدا الاعتراف المتبادل . هذا اسهل من اي اتفاق مع القيادة في المناطق المدارة . لذلك فانني اقترح عدم الاستهتار بالاقوال التي وجد بسام الشكعة .. من الصواب قولها ، وهو ممثل من الدرجة الاولى ؟ وقد يكون ارفع ممثل واكثرهم مخولا لذلك في المناطق المحتلة . يجب الا نتجاهل اعلانه . انا اعتقد ان بسام الشكعة اليوم هو الناطق الاول، الاعلى، رقم١ في المناطق المدارة وهو مقبول على هذا الاساس لدى كل سكان المناطق المدارة . لا تستهتروا بهذا البيان . فكروا بابعاده .

وزير الدفاع ع . فايتسمان : سيدي الرئيس ، الكنيست المحترمة . انا أتعامل مع ملاحظات اعضاء الكنيست هنا

غيئولا كوهين ، موشيه شمير وشمعون بيرس بصدق ، فيما يتعلق بما نشر اليوم في جريدة هآرتس عن اقوال رئيس بلدية الخليل الى ضابط في جيش الدفاع الاسرائيلي . انـا ملـزم بالقول بانه للمرة الاولى سمعت عن ذلك من القراءة بالصحف هذا الصباح . حصلت على تقرير فوري من الجنرال مـباط الذي هو في طريقه الي . لذلك ومثل كل عضو كنيست آخر قرات ذلك هذا الصباح ونحن الان بصدد فحصـ ما قيـل . وكيف قيل وهكذا . وليكن ما كتب في الجريدة مثلما هو ، فاننا سنتخذ اجراءات ضد رئيس بلدية نابلس على اقواله .

مع ذلك انا ملزم ....

موشيه شمير : من المفضل ان تغير رأيك في الون موريه .

وزير الدفاع ع . فايتسمان : اود ان اشير الـى اقوال عضـو الكنيست شمعون بيرس عن تدهـور الاوضـاع في المناطـق . أنا أرفض ذلك .لا شـك بأن هناك ارتفاعا وانخفاضا . خلال ١٢ سنة ونصف شاهدنا أوضاعا أسوأ من هذه واصعب واكثر تعقيدا وبأمن مريض أكثر . كانت ايامنا افضل ايضا . وبالرغم مما قيـل فانني اعتقـد ان الوضـع معقول وان كان بالتأكيد من الممكن ان يصبح افضل .

انني اكرر اقوالي انه ستتخذ اجراءات ضد رئيس بلديـة نابلس .

توفيق طوبي (الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) : كل هذا بهدف صرف الانظار عما تفعلونه في لبنان وعما تفعلونه يوميا ضد المواطنين اللبنانيين والفلسطينيين لبنان ، ضد قتل الاولاد والنساء في مخيمات اللاجئين . الكل بهـدف صـرف الانظار عن جرائمكم ... عن استمرار الاحتلال .....

وزير الدفاع ع . وايزمان : عضو الكنيست طوبي ، لبنان هادئة .

توفيق طوبي : انـتم تخلدون الاحتـلال والمس بحقـوق الشعب الفلسطيني . هذا هو مصدر الاخطار والمصائب .

وزير الدفاع ع . وايزمان : لقد سمعتك .

الاجراءات ستتخذ . انا ملزم بالقول تعالوا نغير الاتجاه ، ونبدا بالتفكير اولا وبتوازن متزايد لايجاد طريق مشتركـة للحياة مع العرب في أرض اسرائيل ولن نكون ملتهبين. مع ذلك سنتخذ اجراءات ضد رئيس بلدية نابلس .

* * *

بدات خيـوط
المؤامرة تكتمـل

في ساعات المساء المتأخرة اتصل بي عوزي بوريشتايـن وسألني اذا كنت يقظة على المكيدة التي تحاك ضد بسـام . لقد اراد ان يعرب له عن تضامنه وهو ايضا عرف ان هـذا هذا تحريض. عوزي لم يستطع التحدث الى بسام لانه لا يعرف العربية وبسام لا يعرف الانجليزية . اتصلت بنابلس وتحدثت الى بسام . لقد اكد لي انهم يقومون بحملة تحريض ضـده وانهم زوروا اقواله والان يقومون بحملة تحريضـ ضـده . اعربت له عن مشاعر التضامن التي ابداها عوزي وانـا . قررنا التحدث في صباح اليوم التالي .

عناوين الصحف لم تكن مشجعة جدا ، خاصة في ذلـك الصباح . نفس المراسل العسكري كتب في هآرتس : احتمال طرد بسام الشكعة من نابلس بتهم التحريض على القتل الى احدى الدول العربية ــ هذا هو احد الاحتمالات الممكنة بعد

ان اعرب عن تضامنه مع ذبح المواطنين نساء واطفالا في باص الدماء في شارع الشاطىء . في الماضي كان نهجا كهذا في حالات اقل خطورة . »

اتصلت ببسام واطلعته على ما نشرته الصحافة وكـــان مقتنعا في السابق بأنه ادين، اما الان فانهم يبحثون في العقاب الذي يجب فرضه عليه . قلت له ان المراسلين العسكريين على اختلافهم يكونون احيانا بوق السلطة .

« كيف تستطيعين مساعدتي ، فيليتسيـا ، من الناحيـة القضائية ؟ » سألني بسام . ونظرا لاعتقادي بأن الطرد هو احد الامكانيات في حالتنا هذه ، وحسب فهمي فأن خطرا من هذا النوع ملموس جدا — يمكن أن نستعد للدفاع بالتوجه فقط الى المحكمة العليا . السرعة هي التي ستقرر . اكدت له ذلك. بسام ابلغني بأنه يترك لي كل شيء ، ولكنه مشغول في الصباح وبعد الظهر . وانا ايضا كنت ملزمة بالظهور امام المحكمة العسكرية في اللد . اتفقنا ان الالتماس لمنع الطـرد سيقدم باسم زوجته عناية . واتفقنا على ان تجيء الي الى المحكمة العسكرية في اللد ومن هناك نسافر الى القدس . كنت راضية في داخلي على ان بسام لن يجيء الي وذلك لانني تخوفت بانهم يستطيعون اعتقاله في الطريق ويحبطون بذلك كل شيء .

واستطعت ان احصل في التلفون علـى النص الكامل للمقابلة مع بسام الشكعة كما نشرتها عل همشمار في الصباح دلك اليوم بقلم الدكتور امنون كابليوك .

كان ذلك خدمة غير عادية للحقيقة قام بها هذا الرجل لان اقوال بسام كما نشرتها «عل همشمار» شهدت بأن ما كتب في « هآرتس » هو تزوير وانه ليس صحيحا ان بسام يؤيد او يتضامن مع قتل النساء والاولاد او الابرياء بشكل عام .

وخلال فترات الاستراحة لدى ظهوري في اللد زادت مخاوفي لئلا نتأخر في الموعد او من فشل غير متوقع وهامشي يحبط خططنا . في الساعة الحادية عشرة تقريبا أبلغوني من الخارج ان احدا ينتظرني . فهمت ان عناية وصلت . تخلصت من المحكمة قبل اوانها باعلاني ان علي تقديم التماس مستعجل للمحكمة العليا . امتنعت عن القول باسم من سيكون الالتماس .

كان هذا لقائي الاول بعناية . عيناها الزرقاوان والحكيمتان نظرتا الي بأمل . نظرات كهذه تثقل كاهلي بمسؤولية كبيرة ، يخيل الي احيانا انني اتهاوى تحتها .

★ ★ ★

نص الالتماس
للمحكمة العليا

الالتماس بدأت كتابته في السيارة التي نقلتنا للقدس بينما كانت عناية تزودني بالتفاصيل وتقدم لي الملاحظات . علمت انني اذا تمكنت من تقديم الالتماس قبل الساعة الواحدة قبل الظهر فقد انجح في الحصول على امر احترازي يمنع الطرد قبل ان ينهي الموظفون عملهم . كان المهم ان يتم طبع الالتماس وتقديمه فورا للنيابة لوقف اجراءات الطرد . واذا تأخرت فقد يحدث مع بسام ما حدث مع الكثيرين من قبله . عند وصولنا مشارق القدس كان النص جاهزا :

المستدعون : عناية الشكعة باسم زوجها بسام احمد شكعة من نابلس بواسطة المحامية فيليتسيا لانغر من شارع كورش ١٤ القدس .

ضـــد

الالتماس :

الالتماس

بهذا الالتماس نطلب استصدار امر احترازي ضد وزير الدفاع يطلب منه تقديم تبريراته حول اسباب عدم امتناعه عن طـرد زوج المستدعية السيـد بسـام أحمـد الشكعـة رئيس بلدية نابلس خارج حدود دولة اسرائيل و / او المكان المدار من قبلها وان مصروفات الطلب تقع على عاتق الوزير.

وهذه هي مبررات الالتماس :

١ ـ زوج المستدعيـة (من الان فصاعـدا « الزوج ») رئيس بلدية نابلس . وقد انتخب لهذا الغرض في انتخابات عامة في شهر ابريل ١٩٧٦ ومنذ ذلك الحين وهو يشغل هذا المنصب ويخدم ابناء بلده .

٢ ـ بتاريخ ١٩٧٩/١١/٧ نشرت جريدة هآرتس ووسائل اعلام اخرى ان المذكور اعرب عن تضامنه بقدر المستطاع مع العملية التخريبية في شارع الشاطيء ومع منفذيها وذلك خلال لقائه مع منسق النشاطات في المناطق الجنرال داني ماط .

٣ ـ ونتيجة لهذا النشر بدات حملة تحريض ضـد زوج المستدعية الى حد الطلب بالانتقام منه بوسائل عقاب مثـل اقالته من رئاسة البلدية وحتى طرده من البلاد .

٤ ـ علمت المستدعية وزوجها ان الاوساط العاملة فـي مجال سلطة وزير الدفاع تبحث في الخطوات التـي يجـب اتخاذها ضـد زوجها عندما نجـد ان الطرد احدى هـذه الخطوات في حالة استحسانه .

٥ ـ بالنسبة للنشر تدعي المستدعية باسم زوجها وتبدي رأيها كما يلي :

أ ــ لقد التقى زوجها حسب طلب الجنرال داني مـــاط في يوم الاثنين من هذا الاسبوع وذلك لبحث موضوعات مدينتـــه كما تلزمه وظيفته .

ب ــ لقد تم تزوير الاقوال المنسوبة لزوجها واخرجت من سياقها العام مع سبق الاصرار ، لعزله عن منصبه او اكثر من ذلك .

ج ــ تدعي المستدعية وزوجها ان هذه العملية جزء مـــن حملة مخططة ضد رؤساء البلديات الوطنيـــين المعارضـــين لمشروع الادارة الذاتية .

د ــ المستدعية تعلن ان زوجها اعرب خلال محادثة عـــن رأيه باسباب وجذور مقاومة الاحتلال ، الذي هو الاحتـــلال نفسه ، عندما اعرب عن تفهمه لدوافع منفذي عملية الشاطيء وليس تضامنا معهم . هذه الاقوال كانت جزءا من محاضـــرة شاملة حول اوضاع السجناء العرب في السجون في المناطق وفي اسرائيل والقصف الاسرائيلي للمواطنين في جنوب لبنـــان وغير ذلك .

هـ ــ المحادثة كانت حرة وجرت من خلال تبادل الاقـــوال حول موضوعات مختلفة ، وهو حق جذري لكل انسان دون ان يكون معرضا بسبب ذلك لحملة شعواء ضده .

٦ ــ المستدعية تدعي باسمها وباسم زوجها وذلك حسب ما هو متوفر لديها ان هناك خطرا حقيقيا ومحسوسا من طرد زوجها من وطنه وان الامر قد يحدث كل لحظة .

٧ ــ المستدعية تدعي ان عملية الطرد مخالفة للقوانـــين الدولية كما نصت على ذلك وثيقة جنيف الرابعة وانه مساس بحقوق الانسان الاساسية التي اكتسبت صبغتها في بيـــــان عالمي للامم المتحدة منذ عام ١٩٤٨ .

٨ ــ ولكي لا يتم احباط هدف الالتماس تطلب المستدعية باسمها وباسم زوجها اصدار امر احترازي ضد وزير الدفاع يمنعه من طرد المستدعي خارج اسرائيل و / او خارج المنطقة الموجودة لديها حتى اعطاء قرار آخر في الالتماس .

المحكمة مدعوة لاصدار الامر الاحترازي كما نص على ذلك الطلب وجعله قرارا والزام وزير الدفاع بالمصاريف للمحكمة وللمحامية .

التوقيع

فيليتسيا لانغر

موكلة المستدعية

في القدس بدأ السباق مع الزمن . جـث الطابعة من سكرتارية المحكمة العليا ابلغونا ان الالتماس سيقبل حتى الساعة الواحدة . واذا تم تقديمها بعد ذلك فانها ستقترن بالتأجيلات التي لا شك بأن نتائجها لن تكون في صالحنا . أذن ، ٣ دقائق قبل الساعة الواحدة بالضبط وصل السكرتير الشاب سلمان الى المحكمة واستطا عتقديم الالتماس في الوقت المحدد . كان لا بد لاحد قضاة المحكمة التفرغ لبحث الالتماس ، او نقله امام ثلاثة قضاة .

خلال ذلك الوقت جلست عناية في مكتبي وانتظرت . لم يكن من الصعب التكهن بأفكارها ، لاننا نحن ايضا كنا مشعبين بالتوتر والانتظار .

فكرت بالاتصال بالسيد غيللونأحد القضاة بعد ٢٠ دقيقة. فكرت بالماضي ، بالمعارك الحقيقية ضد الطرد ـ طرد الالاف الذين نفذ ذلك بحقهم في ساعات الليل المظلمة دون حق بالظهور امام اللجنة العسكرية للاستئناف وفق قوانين الدفاع .

تذكرت بذلك اليوم الذي لم أجد فيه سليمان النجاب في السجن ـ الرملة عندما استطعت ان احصل على امر احترازي يمنع طرده وزوجته ليلى ، فقد كان في لبنان آنذاك بعد ذلك بدأنا نتخوف من ان نفس المصير ينتظر عشرات المعتقلين الاداريين مثله . قدمت طلبا باسم كل المعتقلين (العشرات) لمنع طردهم ، وفقط بعد أن ابرزت قوانين الدفاع أمام القضاة بأصلها التي تمنح حق الاستئناف على أوامر الطرد أماماللجنة الاستشارية صدر أمر بضرورة التصرف هكذا في المستقبل .

وفعلا بدأوا يتصرفون هكذا ولكن اللجان كانت تقر الطرد دون ان يستطيع المطرود الوقوف على ما تنسب له السلطات. اللجنة ، نظرا لعادتها واسلوبها لم تكن اكثر من ختم بلاستيك في نظر المرشح للطرد ، تصدق على قرار السلطات العسكرية . تذكرت ايضا بذلك السبت عام ١٩٧٦ عندما سافرت بصورة مذهلة للتدس لمنع طرد الدكتور احمد حمزة النتشة، وآنذاك اعددت الالتماس في السيارة . التقيت مع لوئي غاط ، زوجته ، التي اخبرتني باعتقاله . قدمت الالتماس ، وكل شيء اشار الى ان الامر الاحترازي ضد الطرد سيعطى في الساعة الرابعة بعد الظهر . لم يطرد احمد حتى انتهاء الاجراءات في محكمة العدل العليا .

ولكن السلطات لم تنتظر ، وقبل البحث بربع ساعة في بيت القاضي د. عصيوني طرد الدكتور أحمد النتشة . لا انسى غضب لوئي غاط الذي صبته امام القاضي والضباط الذين كانوا في غرفته .

ولكن الجهد القضائي آنذاك لم يذهب عبثا . فالاستهتار بالقاضي كان مكشوفا ، وغضبه على ذلك كبير جدا . والنقد على ذلك في البلاد وخارجها دل على انه في يوم من الايام اعيد الدكتور النتشه للمنطقة ، واستطاعت السلطات القول ان اعادته تصحيح للخطأ القضائي الذي ارتكب .

انتهى الوقت واتصلت الى بيت القاضي . « لقد حصلت على امر احترازي » قال الصوت الذي من الطرف الاخر . « احضروا كل شيء ليستطيعوا طباعته » . اخبرت عناية بكل شيء فابتسمت لي . خلال دقائق كنا في اروقة المحكمة العليا . خلال ذلك اهتم نائب المسجل بطبع الامر واقراره وكان بالامكان الشعور الى اي مدى كان يدرك سرعة الموضوع . بقي الان ان نسلمه الى النيابة العامة . وهنا لم استطع الامتناع عن تذكر تجربة الماضي المريره . عندما

قدمت امرا ضد هـدم بيت في سلواد ، ورغـم ان السلطات علمت بالامر فقد قامت بهدم البيت ، لانني لم استطع تسليمهم الامر .

المسؤولة عن قسم الالتماسات في النيابة العامة المحاميـة دوريت بينوش التقيتهـا في اوج جلسـة بحضـور رجـال المخابرات العامة . لقد قالت لي ان السيد غيلون اتصل بها وابلغها بالامر .

لم يكن لدي ادنى شك بظروف الجلسة وهذا فقط زاد من ثقتي ، لانه تم منع طرد بسام الشكعة .

★ ★ ★

الالتمـاس الذي حـال دون طـرد بسـام

عناية اخذت معها نسخة عن الامر وسافرت الى نابلس . بدأت الاذاعة تتحدث عن ان التماسا (أمرا احترازيا) منع طرد بسام بالامر الذي صدر الان بواسطة قاضي المحكمـة العليا القاضي شلومو آشير الى ان يتم بحث طلب زوجته في الامر الاحترازي ضد وزير الدفاع عـلى مستوى المستشار القضائي للحكومة .

كان هناك من قال لي « لقد فعلت امرا جيدا ، تحسبا لكل طائفة ، ولكن ، عمليا ، لـم يكن لديهم النية لعمـل ذلك ، لطرده ، واذا كان الامر كذلك فسيعلنون الان انهم لا يعتزمون ذلـك » .

في ذلك الوقت عقد مؤتمر لرؤساء البلديات في نابلس للتضامن مع بسام . علمت ان طاقم التلفزيون الاسرائيلي بصحبة المراسل رفيق حلبي وطواقم تلفزيون اجنبية سافروا الى هناك لتغطية الحادث وللسماع من بسام رأيه بمحادثته مع الجنرال ماط .

وبينما كنت انتظر « شريط الاخبار اليومي » في التلفزيون وبالذات تقرير رفيق خلبي الذي قابل بسام الشكعة اتصل بي احد معارفي الجيدين : « كيف عرفت انهم سيطردون بسام الشكعة ؟ ــ سألني وواصل ــ هل تكهنت بذلك ؟ » « كان من قال لي انني اخطأت التقدير » قلت له . « لا . فيليتسيا فقد صدقت في تقديرك بالذات تماما . انهم يعتزمون اصدار أمر طرد ضده . ان توجهكم لمحكمة العدل العليا اصابهم بالجنون وافقدهم اوراقهم . ولكنهم مصممون على طرده » .

المذيع في تلك الليلة في التلفزيون كان يعكوف احيمئير : لقد ابلغ المشاهدين أنه « نظرا لاسباب غير مرتبطة بصحفيي قسم الاخبار فلم يكن بالامكان اذاعة التقرير الذي اعده رفيق حلبي عن اجتماع رؤساء البلديات في نابلس » . بعد ذلك اظلمت الشاشة مدة ٣ دقائق . علمت أن «ابيد الظلام» وجه ضربته وان التحريض ضد بسام مستمر وفق الانطباع المكتمل كلهم ينشرون التحريضات الدموية ، وعندما يطلب المتضرر اعلان رأيه وتفنيد الكذب فلا يحق له . عندما شاهدت الصحفي في اليوم التالي اضاف خطأ الى الجرم عندما قال انه لا يسمح بنشر التقرير « لانه غير مستعد لوضع الشاشة تحت تصرف قتلة الاولاد » مع العلم انه عرف بأن بسام انكر في مقابلة منع نشرها أنه يؤيد عملية الشاطىء .

بعد ذلك بعدة ايام جرت في تل أبيب مظاهرة بمبادرة اتحاد الشبيبة الشيوعية . طالب المتظاهرون بعدم طرد بسام

وظهروا في شوارع تل ابيب مع صور لوجوه كممت افواهها بالمناديل للاحتجاج على كم الافواه الذي عبرت عنه شاشـــة التلفزيون في تلك الليلة .

* * *

وفـــود تضامنية من
« راكـــــح »

في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي ١١/٩ اعلن مذيـــع « صوت اسرائيل » أن القائـــد العام لمنطقة يهودا والسامرة اصدر امـــرا بطـــــرد رئيس بلدية نابلس . في الساعة السابعة صباحا اتصل بي بسام لابلاغي بذلك . لقد تلقى الخبر بواسطة « صوت اسرائيل » .

مع الاعلان عن النبأ تنظمت بعثة تضامنية من « راكـــح » الى نابلس برئاسة السكرتير العام عضو الكنيست مئير فلنر وتوفيـــق طوبي وعوزي بوريشتاين وليئون زهافي ودورون فلنر وتوفيق زياد ودعيت للانضمام اليهم . خرجنا الى نابلس ونحن نتحدث عن القضية والمؤامرة التي تحاك ضد بسام . وعندما وصلنا الى ابواب البلدية شاهدنا الاستعداد : وفود كثيرة تدخل وتخرج ، ابلغونا انهم ممثلون عن كافة انحـــــاء الضفة يتضامنون مع بسام .

كان لقاؤنا مع بسام وديا وقلبيا جدا وبدأ الحديث مـــــع اعضاء الوفد وقال انه في لقائه مع منسق النشاطات فـــــي المناطق المحتلة دانيئيل ماط الذي تم بمبادرة الاخير واتخـــذ طابعا عاما الى ان حقق معه الجنرال ماط حول رأيه بعملية الشاطيء .

بسام الشكعة يصر على ان احداثا كهذه تنجم عن الظروف الخاصة بسبب تواجد الاحتلال والاعمال القاسية لاسرائيل في لبنان . ولمنع ذلك يجب القضاء على الاسباب والدوافع .

ماط بدأ يسأل بصورة قاطعة : مع او ضد .

الشكعة سأله : هل استدعيتني لهذا الغرض ؟

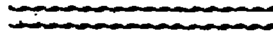
الشكعة اشار الى ان اللقاء انتهى بصورة عادية وبالاتفاق على ان يستمر في المستقبل .

وفي حديثه مع اعضاء بعثة الحزب اكد الشكعة انه لم يسبق له اعلان تضامنه مع عنف كهذا الذي حدث في شارع الشاطيء . واشار فقط الى انه طالما ان الاسرائيليين يفعلون ما يفعلونه في لبنان فلا يمكن منع اعمال كهذه التي حدثت في شارع الشاطيء .

واشار رئيس بلدية نابلس الى ان اقواله زورت عمدا .

توجه عضو الكنيست فلنر الى اعضاء المجلس البلدي ووجهاء اخرين حضروا وقال قدمنا الى هنا ، موفدين عن الحزب الشيوعي الاسرائيلي للاعراب عن تضامننا معك كرئيس بلدية نابلس على ضوء التحريض والتهديد بطردك . نحن بهذا نتضامن مع البلدية والمواطنين ومع كل الشعب العربي الفلسطيني في المناطق المحتلة . نحن نرى بذلك تحريضا مبرمجا سلفا من قبل اوساط الحكم العسكري والحكومة ، لابعاد رؤساء البلديات المعارضين لاتفاقيات كامب ديفيد ومشروع الادارة الذاتية والذين يطالبون باقامة دولة فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل . ان حادثك ليس منعزلا عما يدور حوله .فهم يحاولون التعرض لرئيسي بلديتي رام‌الله والبيره بادعاء انهم هاجموا رجال الشرطة في المحكمة. ومن هنا يمكن الاستنتاج بانها مؤامرة ضد معارضي كامب ديفيد وبالذات ضد الشعب الفلسطيني كله .

الشكعة : هـذا هو
سـر نجـاحنـا



اللقاء مع وفد الحزب الشيوعـي الاسرائيلي أنتهى بقدوم وفد كبير من رجال المنظمات المهنية في الضفة الذين قدموا هم ايضا للاعراب عن تضامنهم مع رئيس بلدية نابلس .

وفي قاعة البلدية التي امتـلات اجتمع اعضـاء المنظمات المهنية ، رؤسـاء البلديات وممثلين عن منظمـات شعبية . انضم اليهم اعضاء الحزب الشيوعي الاسرائيلي . في رئاسة اللقاء المؤثر الذي جرى جلس رئيـس بلدية نابلس وسلفيت وسكرتير مجلس العمـال العام في الضفة عادل غانم وانا . عادل غانم توجه الى المجتمعين وقال : لقد جئنا للاعراب عن التضامن والاحتجاج على المؤامرة التي لا تنفذ ضدك شخصيا فقط ولكن ضـد كل القيادة في الضفـة الغربية التي تناضل دفاعا عن حقوقنا .

كلنا تركنا اعمالنـا اليومية ، من الخليل حتى جنـين جئنا لنتضامن معك ومع فلسطين . لا يمكن ان نسمح بأبعاد رئيس بلدية نابلس .

بسام الشكعة توجه الى الجمهور والوفد وقال : نحن نقف في لحظة تاريخية اهمة . في تضامنكم هذا تكمن قوة مقاومة الشعب للمخططات الامبريالية المدعومة من الرجعية العربية.

ان نضالنا ضـد الادارة الذاتية يأخـذ شكلا اكثر اتحادا وحـدة . ان لي الشرف أن أكـون ممثل نابلس في وقوفي برئاسة الجبهة الوطنية ناضلنا في الانتخابات لرئاسة البلدية.

ان سر نجاحنا هو اصرارنا على حقوق شعبنا . منذ انتصارنا في الانتخابات تهاوت خطـط فرض العملاء على الضفة ، او ايجاد مؤيدين لاتفاقات كـامب ديفيد والاتفاقات بـين بيغن والسادات . هذه الخطط افلست .

نحن لن ننسى تضامن القوى الديمقراطية داخل اسرائيل وبرئاسة راكح — مع نضالنا .

ان اعمال سلطات الاحتلال تظهر فشلها . سندافع بكرامة عن حقوقنا . ان ما حدث هو تمثيلية سخيفة من نتاج مخيلة اناس مريضين خلقوا من لديهم اقوالا لا يمكن ان تبرر هذه الخطوات التي يعدون لها ضدي ، كمن لو تضامنت مع عملية الشاطيء . لقد اكدت في حديثي مع قادة راكح ان اقوالـي زورت عمـدا . وفي المحادثـة شرحت الاسباب التي تؤدي لذلك .

ان تزييف اقوالي جاء لابعادي عن مدينتي وعن وطنـي . ومن يحق له ان يفعل ذلك ؟! انا منتخب الشعب ! فبعـد ان فشلوا بمحاولاتهم الاخرى بافشال البلدية بواسطة وقف بناء مدرسة ، ومنـع احتمالات التطوير بواسطة فرض ضرائب باهظة لم يبق لديهم سوى التحريض هذا . انها محاولة لاكمال جهود مستمرة منذ ٣ سنوات لعزلي عن البلدية . لقد اتخذوا هذه الخطـوة لافشال مؤتمـر المنظمـات المهنية في الحادي عشر من هذا الشهر . لقد ارادوا اضعاف يقظتنا ، لاضعاف ارادة الشعب وتعابير التضامن .

توجهوا الي طالبين الا اعمل على عقد الاجتماعات وتنظيم الاعمال والنشاطات الاجتماعية . اجبتهم بأن هذا من شـأن السكان . انا اشكركم على مجيئكم . انا لم اطلب انعقادكم ، فهذه خطوة شعب يدافع عن حقوقه . واذا كان هناك مـن مذنب فأن كل الشعب كذلك . نحن على استعداد للتضحية

طالما طلب منا ذلك للحفاظ على حقوقنا .

ان وجودي هنا معكم رغم قرار حكومة اسرائيل هو قاعدة جيدة لاحباط هذا القرار . هذه قاعدة جيدة للانتصار حتى اذا ابعدوني . ان مستوى وحدتنا يبرهن احتمالات نجاحنا .

اعدكم انني سأظل مخلصا لامالكم . املي هو ان يستمر كل انسان منكم في مكانه في نضاله ويعمقه ويقوي العلاقة بيننا ويقوي الوحدة الوطنية .

ان قرارات الحكم العسكري ناجمة عن وجوده غير الطبيعي . نحن لا نؤمن ان غير المرغوب فيه سيسيطر الى الابد . نحن فيوطننا .

في كل مكان اكون فيه سأكون مخلصا لهذا الملتقى واقوم بواجبي في النضال من اجل شعبنا واطفالنا .

استقبلت بسام الشكعةبتصفيق حاد وفي نداء مؤثر توجه رئيس اتحاد النقل في الضفة بنداء الى كل العمال والسكان للسير مع القيادة المنتخبة ، ويقفوا وراءها ، يدعموها طالما انها تدافع عن مصالح الشعب .

* * *

الاعتقال

انشغلت النشرات الاخبارية في « صوت اسرائيل » بقضية بسام الشكعة . وقد تجلى غضب السلطات من اصدار الامر الاحترازي بصورة مكشوفة من خلالها . كان بالامكان أن يفهم منها بوضوح ان نفس المصير الذي لحق بأولائك الاشخاص الذين طردوا قبل ان يتمكنوا من احباط الغبن اللاحق بهم

انتظر بسام الشكعة . وقد اجاد الوزير شارون بالتعبير عن ذلك في ذلك المساء من على شاشة التلفزيون وبلغته المعبرة والبروتالية : « لو كان الموضوع تحت ادارتي لكان الشكعة عبر الاردن منذ نفس الليلة » .

في ساعات الظهر اذيع نبأ مفاده ان ممثل النيابة العامة توجه الى محكمة العدل العليا طالبا تفسير الامر الاحترازي الذي يسمح بالبدء باجراءات الطرد ضد بسام (كما تفهم النيابة) ولكن الامر لا يسري على العملية نفسها (الطرد) . وحسب اقوال المذيع وافق القاضي على نشر النبأ لذلك لا مانع من البدء بأجراءات الطرد ضد بسام . كان واضحا ان السلطات استعجلت في الطريق الى اعتقاله ، لان ذلك يعين اول مرحلة نحو الطرد . وقد املوا بذلك تناسي حملة التضامن مع بسام حيث ان الاعتقال خصص من اجل تأكيد اصرارهم على طرده مهما كان الثمن .

لم اكن مطمئنة لهذا التفسير القضائي . كان ذلك يوم الجمعة في ساعات ما بعد الظهر . اتصلت بالقاضي شلومو آشير في منزله بالقدس وطلبت منه توضيح النبأ الذي سمعته الان . قال لي القاضي انهم طلبوا منه توضيح الامر . وقد فعل ذلك ، وحسب اعتقاده فأن الامر يسري على الطرد نفسه وليس على اية اجراءات ادارية تسبقه . عندما سألته ماذا بشأن الاعتقال قال لي : لقد طلبت أمرا ضد الطرد وهذا ما حصلت عليه .

فهمت ان اعتقال بسام متوقع في كل لحظة .

يوم الاحد ١١/١١ في ساعات الصبح اتصل بي بسام وابلغني انه استدعي في الساعة الثامنة صباحا الى مكتب حاكم عسكري نابلس ، واتفقنا ، ان عليه الذهاب في نفس الموعد المتفق عليه . منذ ذلك لم يكن بيننا اي اتصال .

بعد ساعة ونصف ابلغتني عناية تلفونيا ان بسام اتصل بها من الحكم العسكري وابلغها انه تلي عليه امر الطرد الى لبنان . وقد رفض قبول الامر وطلب نقله والي . وقد اعلم ايضا ، في نفس المناسبة ، انه سيتم اعتقاله حتى طرده ، في سجن الرملة .

كان أسفي على عناية ، على الاولاد الذين عرفتهم وعلى بسام نفسه . ولكنني كنت واثقة أنه سيذهب الى السجن مبتسما . عندما التقيته بعد ذلك تبين لي ان ذلك ما حدث ، وان الجنود الذين اخذوه للاعتقال ذهلوا من هذه الابتسامة.

فهمنا ان علينا ان نعمل بكل جهد ، وان نطلب تفسيرا اخر للامر لدى القاضي الذي اصدره او لدى ثلاثة قضاة اخرين . ولكن قبل ذلك قررت زيارة بسام في السجن بالذات في نفس اليوم الذي اعتقل فيه . حصلت على اذن بذلك من الحاكم العسكري العام للضفة .

قبل سفري ، استعرضت صحف نفس اليوم . كل الصحف أشارت الى حملة التضامن مع بسام الشكعة في نابلس يوم السبت .عنوان معاريف زف « البشرى » التالية: « الشكعة كان بطل الضفة أمس » . وجاء في الخبر الذي اعده يوسف تسوريئيل : « مسيرة التضامن » التي حظي بها أمس رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة والامر الاحترازي الذي صدر ضد منع امكانية طرده حتى بحث الالتماس الذي قدمته زوجته ، حولته الى « بطل الضفة الغربية » . فالذي حدث أمس في الضفة الغربية لم يحدث منذ سنوات . خلال ساعات طويلة تلقى مكتب رئيس بلدية نابلس مئات المحادثات التليفونيةالتي شجعته وهنأته على شجاعته بقولهالحقيقة أمام ممثل للحكم العسكري الاسرائيلي. وما قيل فيالمكالمات الهاتفية عبرت عنه البرقيات التي وصلته حتى من قطاع غزة ومن

شرقي القدس . عـــدد من ممثلـــي دول اجنبية ايضا الذين يعملون باستمرار في المنطقة بادروا للاتصال برئيس بلديـــة نابلس للاعراب عن تأييدهم له . رؤساء البلديات ادعوا ، بدءا بالمعتدل الياس فريج حتى آخر المتطرفين فيهم ، كريم خلف أن « خطـــة افشـال » مدبرة قام بها الحكم الاسرائيلي من اجل ايجاد سبب لابعاد الشكعة عنرئاسة البلدية ، وذلك استمرارا لقرار محاكمة رئيسي بلديتي رام الله والبيرة . والصحف العربية الثلاث الصادرة في شرقي القدس ايضا اعربت عنتضامنها مع رئيس بلدية نابلس . الحكم العسكري واوساط امنية اخرى اصيبوا بالذهول من قرار المحكمة العليا ومن تظاهرة التضامن التي تمت علانية وبصوت مرتفع مـــع رئيس بلدية نابلس . »

* * *

اول لقـــاء

في سجن الرملـــة

قدمت طلبا شكليا للمحكمة لاطلاق سراح بسام الشكعـــة بواسطة تفسير اخر للامر الاحترازي يختلف عن ذلـــك الذي اصدره القاضي اشير في ١١/٨ بتولي : ان الفصل بـــين الاعتقال تمهيدا لتنفيذ الامر الاحترازي وبين الطرد نفسه هو شكلي فقط عندما يشكل الاعتقال من الناحية القضائية البدء بتنفيذ اجراءات الطرد التي اجلت المحكمـــة تنفيذها .. وقـــد انضم محامون آخرون لـــهذا الطلب تطوعوا للدفـــاع عـــن الشكعة وهم عبد عسلي ، أبراهام ميلاميد ، حنا نقارة ، محمد ميعاري ، يوسي أرنون الذين انضم اليهم فيما بعـــد المحامون بنحاسي وتسفي غيلون لمساعدتي .

ابلغت عناية بمجادثتي مع واشنطن وبمحادثتي مع زميلي

د . جيمس زغبي رئيس لجنة حقوق الانسان الفلسطيني والسلام ، حيث وصلتهم انباء طرد بسام مدوية مثل رعد في يوم صاف . ابلغني بأنه جرت مظاهرة بالقرب من وزارة الخارجية بمشاركة حوالي ٤٠٠ شخص . المتظاهرون ابلغوا وسائل الاعلام ان الولايات المتحدة تؤيد كل القوى الرجعية في العالم مثل الشاه الفارسي وبينوتشيت الطاغية في تشيلي والان السياسة الخاسرة التي تنفذها اسرائيل ، الامر الذي دفعهم للمطالبة بوقف كل المساعدة المالية لاسرائيل والغاء امر الطرد فورا ضد رئيس بلدية نابلس . « انتم ملونون ، رجال ال S. D. عندما تتحدثون عن اناتولي شيرانسكي والان تدوسون حقوق الانسان كما تفعل ذلك اسرائيل ـ بصمتكم» ابلغتها بوعد جيمس بالنضال من أجل اطلاق سراح بسام وانه يتلقى بيانات التأييد من اشخاص عديدين بينهم شخصيات يهودية »

خرجنا الى الرملة سوية مع عبد عسلي . وصلنا السجن متأخرين بعض الشيء . بعد تأخير بسيط ادخلنا الى مكتب التسجيل . « جئنا لمشاهدة رئيس بلدية نابلس » قلت للسجانين فتوجهوا فورا الى المدير للتشاور . بعد دقائق معدودة فتحوا امامنا البوابة الحديدية الموصلة الى الممر وادخلنا الى غرفة محامين . في هذه اللحظة بالضبط احضر امامنا بسام . تصافحنا . « هذه هي زيارتنا الاولى الى مكتبك الجديد » قلت ملزمة .

وبعد ان بدأنا بالحديث الى بسام لصق بنا فورا سجان برتبة ضابط . « من فضلك يا سيدي أن تقف على بعد مسافة قريبة تمكنك من رؤيتنا ، ولكن لا تقف على بعد مسافة تمكنك من سماعنا .. هذا هو حق كل سجين لدى لقائه بمحاميته » قلت له « لا .. ولا » .. اجاب : « لقد تلقيت امرا بالوقوف الى جانبكم والاصغاء الى كل كلمة بالذات » . « اذا كان الامر

هكذا سانهي الزيـارة ... انا لم احضر الى هنـا للقيـام باجتماع عام مع موكلي بحضور سجانـين وباشتراكهـم .. يكفينا بالتاكيد داني ماط واحد ». قلت ، بعد ان اصر الضابط على موقفه انهينا الزيارة بعد ان شرحـت لبسام الامـر . اخرجه السجان من الساحة عائدا الى معتقله الانفرادي . « سنعود اليك ، وسيكون ذلك اليوم » وعدته .

طلبنا مشاهدة المدير . تمكنا من ذلك بعد تأخير مستمر . المدير كان «مؤدبا» جدا « ونشيطا» جدا. فقد اصدر أمره الى الضابط بالوقوف بالقرب منا والاصغاء الينا وذلك لاسبـاب امنية وهو يستطيع ان يرينا اوامر مكتوبة تسمح له بأن يفعل ذلك . شرحت له بانني لا اوافق على مشاركة سلطـات السجن دفاعي عن موكلي ، لان الامر يعارض اصول المهنة العملية فيما يتعلق بالسرية التي بين المحامية وموكلها . ولكن المدير يفهمني ، ولكن الاعتبارات الامنية فوق كل شيء . هنا قلت لـه ان الذين يمسون بالامن هـم اولئك الذين اعتقلوا بسام وليس الذين قدموا للدفاع عنه . عبد اقترح الاتصـال بالمستشار القضائي الذي سمح لنا بالزيارة ، وقد فعل المدير ذلك .

أجاب الطرف الثاني للتلفون بأننا ندرس الموضوع ولكنـه لا يريد تحمل مسؤولية ذلك على عاتقه لذلك يجب عليـه التشاور مـع أحدهم .

مر الوقت بالحديث عن مواضيـع مختلفة ، امـا اجابـة المستشار فيبدو انها خجلت من المجيء . توصلت الى نتيجة انه يجب وقف اللعبة . « انت مستشار يا سيدي ، وقـد قررت ان هذا سيكون لصالح الموضوع بالذات عندما لا نلتقي اليوم مع موكلنـا . ان هـذا سيظـهر اكثر فاكثر الظلـم والاستبداد الذي يكمن في هذه القضية المفتعلة ، بحيث انـه

ولكن ، لم يتنبأوا بكل شيء مثلما فعل يهوداً ليطاني في جريدة « هآرتس » لنفس اليوم . فقد شهد مقاله كم هو متزن في المؤامرة ضد بسام . هذا هو مقطع من مقاله :

تم تنفيذ آخر عملية طرد من الضفة الغربية قبل ثلاث سنوات ونصف عدة أيام قبل انتخابات المجالس البلدية في هذا النطاق : مطرد الدكتور أحمد حمزة النتشة احد رؤساء الحزب الشيوعي في الضفة الذي كان مرشحا لرئاسة بلدية الخليل .. واضح اليوم أن الدكتور النتشة طرد بسبب كونه مرشحا لرئاسة البلدية — لقد خشي الحكم العسكري من وصول أحد رؤساء الحزب الشيوعي المتضامن علانية مع منظمة التحرير الفلسطينية الى رئاسة البلدية التي ترأسها آنذاك محمد علي الجعبري .

التهمة التي وجهت للنتشة آنذاك هي النشاطات في الجبهة الوطنية الفلسطينية وبالعمل السري وبعد طرده بسنتين تم اعادة الطبيب ابن الخليل حسب أوامر عيزر وايزمان الذي استجاب لطلب رئيس البلدية فهد القواسمي .

الان يدعم وزير الدفاع طرد رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة بعد حملة من الهستيريا الجماهيرية التي ثارت على أقواله — التي لم تنقل بدقة — خلال محادثة مع منسق النشاطات في المناطق الجنرال داني ماط . رئيس البلدية الذي لا تفارق الابتسامة وجهه من أهم ، ان لم يكن أهم رئيس بلدية في الضفة الغربية لم يفز بمنصبه بسبب مركزه العائلي او غناه أو نظرا لكونه نشيطا في حزب البعث في الماضي البعيد في الضفة . ان استقامة الشكعة والتصاقه الحميم بمنظمة التحرير الفلسطينية وأهدافها وصلاحيته للقيادة وتواضعه المتزايد هي مركز أهميته العظيمة .

وهو يحظى بحب المثقفين والبروليتاريا والاميين والاغنياء والفقراء ليس فقط في بلده انما في القرى المجاورة وبالذات

في كافــة أنحاء الضفة الغربية . مكتبه في البلدية ومنزلــه مفتوحان ٢٤ ساعة يوميا أمام من يطلب مقابلته ــ تقريبا في أي موضوع كان ــ من تزويد المياه والكهرباء حتى المفاوضات مــع الحاكم العسكري .

وبعد المحادثة الشهيرة في مكاتب الحكم العسكري بحضور تسعة ضباط مقابل رئيس بلدية واحد بفترة قصيرة نشــر « صوت اسرائيل » في نشرة أخبار الظهيرة حقيقة تضامن الشكعة مع أعمال المسلحين الفلسطينيين في عملية الشاطىء ــ التــي حظيت باهتمام الصحافــة المتزايد بعــد ذلك . والضباط الذين اشتركوا في الجلسة يشهدون أنها جرت في جو جيد وودي وأن الجنرال ماط لم يلفت نظر الشكعة الى اقواله ــ التي لم تنقل بدقة في الاذاعة أو الصحافة ــ حول عملية الشاطىء .

اصــــول اللعبـــــة

شد داني ماط بود على يد بسام الشكعة في نهاية المحادثة وتمنى له عيدا سعيدا ــ بمناسبة عيد الاضحى ــ ... منسق شؤون المناطق لم يقف حالا على الاقوال التي أسمعها الشكعة . هناك مــن اهتم بنقل الموضوع الــى مراسل « صوت اسرائيل » لاثارة هستيريا جماهيرية بسبب ذلك . هناك من حضر المحادثة وكــان معنيا بالاساءة الى رئيس البلدية الاكثر قبولا لدى سكان المناطق والاكثر مكروها على عدد من أشخاص الحكم العسكري والمخابرات العامة .

بسام الشكعة يدعي انه حاولوا نصب كمين له وانه حاول في البداية التملص من أسئلة داني ماط الذي امتاز في ساحة الحرب الا انه لا يمتاز بنفس القدر في محادثاته مــع القادة الفلسطينيين في المناطق . داني ماط قال بعد ذلك انه

خلال المحادثة قص رئيس بلدية نابلس عليه نماذج عديدة من تصرف الحكم العسكري ـ اطلاق النار خلال صـلاة في المسجد في طولكرم وغير ذلك وأن الشكعة حساس جدا لتصرفات الجيش الاسرائيلي في المناطق دون فحصها بدقة .

لقد حضرت عشرات المحادثات من هذا النوع التي يقف فيها رئيس بلدية ضد حاكم أو قائد منطقة أو منسق نشاطات في المناطق . رئيس البلدية غالبا ما يقرأ من قائمة موجودة أمامه المطالب في مواضيع مختلفة والممثل الاسرائيلي بشكل ما يهز رأسه ويعد بالتدقيق في الامر . هذه هي أصول اللعبة المقبولة منذ عام ١٩٦٧ كل طرف يعرف دوره ويؤديه باتزان ، رئيس البلدية يعرف أن طلباته لن تتحقق .

الجنرال ماط قرر اتباع اسلوب يهودي مدروس : الرد بسؤال على سؤال رئيس البلدية : هل يجب أن يكون فرق في معاملة قاتل زوجته بسبب شرف العائلة ومسلح شارك في عملية الشاطىء ؟ جواب الشكعة كان على مـا يبدو عاما جـدا بالنسبة لتوقع ماط . فسأل : مـا هو رأيـك في عمليـة الشاطىء ؟ .

« تقريـر شبـه مكتمـل »

وفي صباح الثاني عشر مـن نوفمبر اصطدمت بالنص الاحمق لتفاصيل المحادثة بين داني ماط وبسام الشكعة . وتحت عنوان « تقرير شبه مكتمل » قرأت : ـ

المحادثة التي اثارت الضجة بين الشكعة والجنرال ماط جرت في السادس من الشهر الجاري . في المحادثة حضر ستة ضباط ومترجم وسجل محتوياتها ضابط سابع .

الوضـــــع الاقتصـــادي

الجنرال ماط : كيف الحال والصحة ؟

الشكعة : بشكل شخصي صحتي جيدة جدا . ولكن بشكل عام فان الوضع الاقتصادي سيء جدا . الوضع في البلدية أيضا سيء ومن خلال تقارير الغرفة التجارية يمكن ادراك أن الوضع الاقتصاديء سيء .

من ناحية سياسية الناس قلقون مـــن الوضـع ... لا يعرفون مـــاذا سيكون . الفلسطينيون يعانون ولا يوجـــد أي حل لتطلعاتهم السياسية كـــل الاقتراحات التي تقدمها اسرائيل مناقضة مع تطلعات الفلسطينيين .

الجنرال ماط : لا أعتقـــد أن الوضع الاقتصادي سيء كمـــا تصـــف .

الشكعة : لا ، الوضع خطير . الوضع الاقتصادي غير حسن ، وبسبب الوضع الاقتصادي في اسرائيل أيضا الذي يترك أثره على الضفة الغربية . لديكم أشخاص يستطيعون احتمال الوضع . لا يوجد لدينا من يحتمله .

الجنرال ماط : كم عدد الاشخاص العاملين في اسرائيل مـــن نابلس ؟

الشكعة : لا أعرف كم عدد النابلسيين ولكنني سمعت أن عدد كل العاملين في اسرائيل من الضفة الغربية يصل الى سبعين الف شخص . الا أن ما يتقاضونه أجراً زهيد وفي بلدية نابلس هناك عجز مستمر .

الجنرال ماط : هذا في اسرائيل أيضا .

الشكعة : ما هو ذنبنا ؟ نحن نخصص ميزانية معينة لمد شارع وحتى تنفذ ذلك ترتفع الاسعار بشكل عال . وهكذا

يحدث مع كل شيء نستورده من الخارج حتى يصلنا فان سعــره يتضاعف .

الجنرال ماط : الوضع هو كما في اسرائيل ... من جهة يدعون أن الوضع صعب ولكن من جهة ثانية يرون أن الناس يخرجون للشارع ويشترون والحوانيت ملأى بكل حسن وكل الوقت يقيمون البيوت الجديدة هذا يدل على أن مع الناس أمــوال كثيرة .

الشكعة : هذا صحيح . الناس هنا يتلقون اموالا أكثر من ابنائهم العاملين في الخارج ولكن هذا ليس نتيجة للوضع الاقتصادي الداخلي .

الجنرال ماط : الى اين وصل الوضع الاقتصادي اليوم فـــي الاردن ؟

الشكعة : لا أعــرف شيئا عــن الموضوع لست خبيرا بالشؤون الاقتصادية ، انا أتحــدث استنادا الى تجربـــة ولقاءات مع الناس .مثلا نحن ملزمون في بلديتنا بدفع علاوات للموظفين وهناك عجز والسلطات لا تتعاون معنا في هــذا المجال . كــل طبقات الجمهور تتذمــر من الوضع وغــلاء المعيشة ولا يستطيعون احتمال الغلاء .

بالنسبة للاردن فمن خلال ما وصلني صحيح ان هناك يوجد غلاء ولكن الرواتب أفضل . مثلا ، المهندس يتقاضى اجرا افضل . هناك مهندس له خبرة عمــل عشر سنوات يحصل على ٦٥٠ دينارا في الشهر مقابل ١٥٠ دينارا يتلقاها مهندس هنا شهريا . العمال هنا يتقاضون اقل .

حـــرب اعصـــاب

الجنرال ماط : كيف كانت زيارتك الاخيرة للاردن ؟
الشكعة : وسط ...

الجنرال ماط : كيف كان فعلا ؟

الشكعة : طالبنا بالمزيد من الاموال لتنفيذ مشاريع للبلديــة حصلنا في النهايــة على ٥ر٢ مليون دولار الا أن مشروعا كالمجاري عندنا يكلف مليون دينار .

الجنرال ماط : نحن نسمع شكاوى للمواطنين ضدك لانك تعطشهم في الصيف ولا تعطيهم الماء .

الشكعــة : « يضحــك » .

الجنرال ماط : قد تعتقد أن الناس يفهمون ذلك

الناس لا يفهمون .. من يحصل على الماء مرة واحدة خلال أربعة أيام يقول أن الايديولوجيا حسنة ولكنه في نفس الوقت يريــد أن يعيش .

الشكعة : لقد حللنا قضية الماء . صحيح أن المشاريع مؤقتة ولكنني آمل أن تحل المشكلة في السنة القادمة بعد أن يتم حفر بئر في وادي فاروق . الله ساعدنا أيضا بواسطة الامطار . أنا أريــد معرفة من هم الذين يتصلون اليكــم ويشتكون قد يكونوا ضد البلدية .

الجنرال ماط : هناك اكثر مما تتوقع .

الشكعة : يضحــك بصورة متواصلة . هذه حــرب دعائية ضد البلدية وحرب أعصاب ضدي .

الجنرال ماط : ماذا تقول أيضا ؟

الشكعة : لدي الكثير ، المعتقلون في السجون خاصــة اولئك الموجودون في بئر السبع وطولكرم ... ان معاملتهم سيئة .. نادر العفوري مثلا مريض ، مقعد حالته الصحية صعبة ومــع العلم أنه في العيادة لــم يتم اتخاذ اي شيء لاطــلاق سراحــه .

الجنرال ماط : الموضوع معروف ومدروس .

الشكعة : لقـــد طالت دراسة موضوعه . الشكاوي مستمرة وقد اكتسبت القضية أبعادا دولية .

الجنرال ماط : لماذا يتذمرون ؟

الشكعة : مثلا في السجون يضعون المرايا على الشبابيك او اية مادة عاكسة للشمس في عيون السجناء وهم يتذمرون لشدة الضوء في الليل ... يتذمرون من أمراض عصبية ومن الرطوبة . ان معاملتهم اسوأ ما يكون . انها معاملة قاسية ونظة ... في سجن طولكرم سمعنا انهم أطلقوا النار على المساجين الذين قاموا باداء صلاة الجمعة .

الجنرال ماط : كذب ... بالنسبـــة للمعاناة والمعاملة لقد كتب جندي اسرائيلي ذات مرة رسالة لقائده تذمر فيها من أن جميع الشلة في مقره يسمعون كل اليوم أغاني فريد الاطرش وهـــو يعاني ..

الشكعة : لقد سمعت من احدهم بخصوص اطلاق النار وهذا صحيح . انني واثق أن هذا حدث ... أرجو التحقيق فـــي الموضوع .

الجنرال ماط : أحضر هـــذا الذى يعرف ليقول متـــى حدث هذا ونحقق .

الشكعة : قبل ثلاثة أشهر .

الجنرال ماط : أنا على استعداد لمقابلة الذي أخبرك .

الشكعة : تلقيت رسالة مـــن سجين ومن الممكن انـــه يخاف كشف اسمه واذا كانت الرسالة معي كنت اريك اياها .

الجنرال ماط : أمعك الرسالة ؟

الشكعـــة : لا

الجنرال ماط : ليكتب نفس الشخص رسالـــة جديـــدة بشكل لا يعرفوه فيها .

الشكعة : اسهل من هذا التحقيق في السجن .

الجنرال ماط : واسهل أن نقص قصصا غير صحيحة .. بعد كل طلقة نحن نحقق لا يمكن أن يحدث هذا دون أن نعرف الا انك تقول أن هذا حدث قبل ثلاثة أشهر سنحقق مع ذلك .

أتسمون هـــذا عفــوا ؟ ...

الشكعة : هل تسمي من تطلقون سراحهم من السجن قبل موعد خروجهم بعشرة أيام بمناسبة العيد وكانوا دون ذلك سيخرجون — هل تسمون ذلك عفوا كما تقولون في صحفكم ؟ هـــل أنتم على استعداد لدراسة ذلك ؟ قـــال بسخريـــــة !! .

الضابط صافي : أولا كان هناك عشرة أشخاص اطلق سراحهم من سجن نابلس وربح قسم منهم ٣ سنوات والاخر سنتين . أقل ربح كان بين ٢٠–٢٥ يوما قبل موعد الافراج أنا أتحدث فقط عن سجن نابلس .

الجنرال ماط : نحن نحاول كل عيد اطلاق سراح عـــدة اشخاص حسب تصرفاتهم . أحيانا هناك أخطاء ايضا لدى السجناء في سجون اسرائيل في السجـــن لا يحصلون على الجوائـــــز .

الشكعـــة : يضحـــك .

الجنرال ماط : يجب ان تكون هناك معاملة معقولة من الناحية المبدئية لكن لا توجد جوائز في السجن .

الشكعة : حتى في تقارير ممثلية السجون قيل ان هناك تمييزا في معاملة السجناء الاسرائيليين والعرب . الامر غير الطبيعي هو معاملة العرب .

الجنرال ماط : موضوع المعاملة أنا مستعد للتحقيق فيه مـع ضبا طالسجون ولكنني أسألك كيف يجب أن تكـون معاملة انسان قتل زوجته وحكم عليه بالسجن وهؤلاء الذين نفذوا القتل في شار عالساحل . ما هو رأيك الشخصي ؟

الشكعة : الذين نفـذوا عملية الشاطيء قامـوا بذلك بسبب الاحتـلال وهم يريدون حريتهـم ... حتى القانون الدولي يقر بذلك ويعترف بهم كأسرى حرب .

الجنرال ماط : ولكن هل تؤيد أعمالهم ؟

الشكعة : السجن واحـد وكل قاض هـو انسان في السجن . هناك قوانين وتسري علـى جميعهم دون تمييز من ما فعلوه .

الجنرال ماط : أحدهم ألقى طفلا داخل النار ، هـل تؤيد هذه العملية ؟

الشكعة : لا . لا أؤيد القاء طفل للنار هذا مبالغ فيـه ولكنني لم اكن هناك ولا أعرف ما اذا كان ذلك حدث فعلا .

الجنرال ماط : ولكن اذا كانوا قـد تفاخروا بذلك في المحكمـة ؟

الشكعة : سمعت من الناس انهم فعلوا ذلك انطلاقا من واجبهم لانهم أرادوا اطلاق سراح اخوانهم الذين في السجن ... اذا كانت اعمال كهذه قد وقعت فانها رد فعـل على أعمـال الاخرين ... بالنسبة لاسرائيل فانهـا كدولة ترد بقسوة . مثلا ، في جنوب لبنان . طالما أن هناك احتـلال وقتل عليكم أن تتوقعوا المزيد من هذه الاعمال .

الجنرال ماط : هل تؤيد هذه الاعمال شخصيا ؟

الشكعة : أعتقد أن عمليات كهذه قد تثمر وذلك بسبب الوضع الذي نعيشه . مثلا اسرائيل تضرب حقوق الشعب الفلسطيني وسياستها هي سياسة قوة ولا يعقل أن ذلك لن يتسبب بردود فعل كهذه . ان خط اسرائيل هذا قد يتسبب بحرب جديدة مع الدول العربية . في نفس الوقت يمكن أن تكون هناك أعمال فدائية لافراد بسبب الوضع الحالي ... هذا هو الواقع الذي نعيشه .

الجنرال ماط : أهذا هو رأيك الشخصي بالعملية ؟
الشكعة : لقد قلت : ان الحادث جزء من كل الوضع .
الجنرال ماط : ان هذه الحادثة تبرهن على ديمقراطيتنا .

الشكعة : هناك عمليات غير ديمقراطية مثل كل سياستكم في المناطق المحتلة والسجناء وغير ذلك كثير .

الجنرال ماط : كيف كان الوضع ايام الاردن

الشكعة : في فترة الاردن لم ينازعوا احدا على أرضه .. كانت هناك سجون وأعمال أخرى ولكن لم يهددوا وجودك ، وانت تعيش على أرضك ... ان الوضع الديمقراطي بالنسبة لي لا يهمني لانه لو كان ذلك فعلا لما كان هناك احتلال ...

الجنرال ماط : ولكن هل تسمي تأييدك لعملية الشاطىء عملا ديمقراطيا ؟

الشكعة : لقد قلت أن العملية نتيجة للوضع ... ولكن القاء طفل للنار عمل غير صحيح . هذا ما لا اؤيده ... هناك أمر معقول هو أن نوافق على أنه في القرن العشرين يجب دراسة الاسباب ومعالجتها .

من خلا لقراءة هذه الاقوال لم يتبق الا الدهشة من المستوى العقائدي الذي وصل اليه المسؤولون عن تحوير

الصيغة الاولى التي اثارت هستيريا مخيفة بهذه الدرجة . لم استطع الامتناع عن التفكير في انه لو لم يمنع طرد بسام ، فمن المحتمل جدا الا يعرف الجمهور — الحقيقة — حقيقة ان بسام لا يتضامن مع قتل الاولاد والنساء وان كل ما كتب عنه بهذه الروحلم يكن سوى نسيج خيال .

امتلأت بالامال . اتصل الكثيرون بي معربين عن دهشتهم . فكيف يعتزمون طرد بسام على اقوال أدلى بها فيمحادثة خاصة ، ولا يمكن تبرير اية خطوة ضده .

على خلفية ما نشر في « هآرتس » فهمت أقوال نائب الوزير ، التي رمزت على أن القاعدة التي استند عليها الطرد كما ادعوا في البداية مادت ، لذلك يجب البحث عن ادعاءات ومبررا تاخرى مهما يكن .

القوى الديمقراطية اليهودية
تنظم حملات تضامن

ازدادت مقاومة قرار الطرد في المناطق وفي اسرائيل . حزبيون من الحزب الشيوعي وحركة شيلي وحزب العمل طالبوا بالغاء خطوات الحكومة . في « دافار » ، «هآرتس» و « عل همشمار » ظهرت افتتاحيات بنفس الروح ، اكدت أيضا أن اجراءات الحكومة خطأ سياسي .

فيالضفة الغربية وقطاع غزة كانت ردود فعل غاضبة : فقد قدم ١٣ رئيس بلدية وماجلس محلية استقالاتهم احتجاجا على خطوات الحكومة ، واستقال أعضاء مجالس محلية كثيرة وادان اشخاص بارزون من كل التيارات السياسية نية الطرد واعربوا عن تضامنهم مع الشكعة . منظمات اجتماعية ،

ومؤسسات دينيــة وخيرية ومهنية وطلابيــة نشرت بيانات الادانة . في نابلس ورام‌الله جرت الاضرابات التامة . في اماكــن مختلفة من الضفة جــرت المظاهرات والاجتماعات الاحتجاجية واضربت الكليات الجامعية عــن التعليم . في نابلس أجــرت عشرات النساء اضــراب جلوس في مبنى البلدية . ارسلت البرقيات الاحتجاجية الى السكرتير العام للامم المتحدة وللممثليات الدبلوماسية الاخرى .

توجهنا الى وزير الدفاع وابلغناه في برقية خاصة اننا غير معنيين بالظهور امــام اللجنة الاستشارية للاستئنافات لكونها مركبة مــن رجال عسكريين فقط ولكونها الــذراع التنفيذية للمدعي ، والخاضعة لــه ، وليست لجنة مدنيــة مستقلة ، وان موكلي واثق في‌نضاله ضد طرده من خلال محكمة العدل العليا وبالاجراءات المتعلقة بذلك . هكذا جاء في‌البرقية . وفي نفس اليوم ابلغتني المحكمة ان طلبي تفسيرا آخر للامر الاحترازي يختلف عن السابق له ، والذي املت بواسطته أن يتم اطلاق سراح بسام — تم رفضه من قبل القاضي آشير .

تطـــــور هــــــام

تطور هام جدا شهده النضال من اجل اطلاق ســراح بسام ، بحيث أن نتائجه الحاسمة كانت معلومة لنا فقط بعد ذلك . جريدة « هآرتس » في ١٢—١١—١٩٧٩ أعلنت أن رؤساء البلديات في الضفة الغربية وقطاع غزة أعلنوا في مؤتمر لهم في رام الله انهم سيستقيلون من مناصبهم اذا لم يتم الغاء كل الاجراءات ضد الشكعة ، واذا لم يتم الغاء قرار طرده . وذكرت الصحيفة أن مؤتمرات سياسية هامة جرت في الخليل وطولكرم وانه تقرر هناك ايضا استقالة كل رؤساء البلديات والمجالس القروية‌اذا تم طرد بسام الشكعة.

نابلس اضربت . اعضاء المجلس البلدي قدموا للحاكم العسكري استقالتهم الجماعية . حكمت المصري ، رئيس البرلمان الاردني سابقا التقى بحاكم عسكري نابلس وطلب منه ترتيب لقاء له مع عيزر وايزمان في موضوع الشكعة . المصري أراد أن يترأس وفدا من المدينة للقاء وايزمن والمطالبة بالغاء القرار . بعثة اخرى من رؤساء البلديات في الضفة طلبت هي الاخرى لقاء وايزمان .

وأعلم وزير الدفاع مقربيه أن قضية الشكعة شهدت سلسلة من التطورات التي كانت خارجة على ارادته .

وعلم مراسل صحيفة « هآرتس » ان الحكومة « ستدعي أمام المحكمة العليا ان طرد الشكعةلم يكن بسبب محادثته مع الجنرال داني ماط التي أعرب فيها عن تضامنه مع القتلة بصورة غير مباشرة بل بتهمة التعاون مع المخربين . وقالت اوساط أمنية ان اعتقال الشكعة جاء للتحقيق معه في هذا الموضوع . » .

في نابلس جرى اعتقال بعض الافراد . وفي رام الله جرى اعتقال شبان رجموا سيارات الجيش بالحجارة وأضربت المدارس في المدينة في نفس اليوم .

بعض الاوساط الحكومية علقت على قرار رؤساء البلديات بتقديم استقالاتهم بأنهم « سيقتنعوا » ويعودوا للعمل بعد أن يدركوا أن « المتطلبات القومية » تفرض عليهم البقاء في عملهم .

اذن ، تخيلت السلطات أن رؤساء البلديات سيثيرون الضجة وبعد ذلك سيهدأوا على ضوء « المتطلبات القومية » . أما الى أي مدى صدقت أدعاءاتهم فهذا ما سنشاهده في الصفحات القادمة.

مـــذكرتـــــان

اتصل بي الصحفي غبريئيل شتيرن والمحامي بنحاسي وتحدثت الى الجنرال متتياهو بيلد . أعطوني مذكرات لتقديمها الـــى المحكمة أشير فيها الى موقف الشكمة مـــن النزاع العربي ــ الاسرائيلي الذي أعرب عنه بأنه مـــن الممكن أن يكون هناك تعايش بين الفلسطينيين والاسرائيليين ، هـــذا الـــى جانب ذاك ، لدى احقاق حقـــوق الشعب العربي الفلسطينـــي .

وبعد أسبوع تقريبا تلقيت مذكرة من عضو الكنيست أوري أفنيري بنفس اللهجة .

تقرر أن يتم اللقاء بين وزيـــر الدفاع ورؤساء بلديات الخليل وبيت لحم وغزة وخان يونس في ١٣ مـــن الشهر نفسه . رؤساء البلديات اعتقدوا أن مجرد موافقة وزيـــر الدفاع على مقابلتهم وهو يعرف مسبقا نيتهم ، تشهد على موقفه المؤيد لمطالبهم بالغاء أمر الطرد .

ونبع تقديرهم هذا أيضا من الاشاعات بأن موقف الوزير لم يكن مرتاحا من الذي فعله داني ماط ، خاصة بعـــــد نشر البروتوكول الثاني للمحادثة .

رؤساء البلديات المذكورين أعلنوا أنهم يؤجلون استقالتهم حتى تلقي رد الوزير الذي تحـــدد في ساعات الظهر فـــي ١٤ــ١١ . استقال كل رؤساء البلديات في هذا اليوم . أما تفاصيل مقابلـــة رؤساء البلديات للوزير وايزمـــان فسوف ندرسها من خلال المذكرة التي سلمني اياها السيدان فهد القواسمي والياس فريج .

الكل توقع نتيجة ايجابية من المقابلة مع الوزير .

في ١٣ــ١١ عندمـــا حضرت الـــى سجن الرملة أخروني حوالي ٤٥ دقيقة ، وقد كان خطأ في عد السجناء مما تطلب

اعاددة هذه العملية من جديد . دون أن يكون احـــد من الخـــارج .

هذه المرة تحدث بسام عن اضرابه عن الطعام . طلبت منه على الاقل ان ينتظر عدة أيام ، فقد يستجيب وايزمان لمطالب رؤساء البلديات . لماذا السرعة ؟ وافق على تأجيل الاضراب الا انني شعرت أنه يريد الاعراب عن غضبه بهذه الطريقة والمشاركة في النضـــال العنيـــد من أجل قضيتـــه فـــي الخـــارج .

في نفس المساء اتصل جيمس زغبي . وقال لي انه في نفس اليوم كانت مظاهرات من أجل اطلاق سراح بسام في ٣٠ ولاية أميركية وأن لجنة خاصة تعمل من أجل اطلاق سراحه . في الايام التالية تعتزم « الجروزلم بوست » نشر اعـــلان كبير يطالب فيه أشخاص معروفون بالغاء قـــرار طـــرد بسام الشكعة .

غداة ، في الرابع عشر من الشهر ، كان « يوم الرد » . قدمت الى بسام وأطلعته على كل عناوين الصحف التي قالت ان الوزير وايزمان يميل الى اطلاق سراحه والغاء أمـــر الطرد الصادر بحقه ، كل ذلك الى جانب نقد شديد اللهجة موجه لداني ماط . ترددت أنباء مفادها ان داني ماط سيقال . وأن وظيفة منسق شؤون المناطق ستلغى ، كـــان اللهجة السائدة ان داني ماط ادخـــل الحكومة في مأزق لم تكـــن بحاجـــة اليـــه .

« آخـــر المتعقلـــين »

لـــم يكـــن ... « متعقـــلا »

استعرضنا تطور الامور على شكل تلخيص . عدنا الى محادثة بسام مع داني ماط . « أنظري — قال لي — كم هو

واضح التحريض الان ضدي ، عندما نشر النص شبه الكامل للمحادثة . هناك أقوال قلتها في المحادثة لم تظهر في هذا التقرير . أكدت على سبيل المثال امام داني ماط موضوع رسالة الجندي الاسرائيلي لاحد رؤساء البلديات ضد قتل الاولاد في لبنان . قلت لماط ان هذه هي الظواهر التي تثير الامل بالتعايش . أما بالنسبة لاعمال العنف أو عملية الشاطىء ، حثثته على البحث عن مصدر السوء ، كما هو مفروض على أب لابن خاطىء ، من أجل اصلاح طريقه . أنا ضد قتل النساء والاولاد . وهكذا قلت لداني ماط . لذلك ليس لدي عم اتراجع أو أعرب عن أسفي » كما نشر في الصحافة من أجل اطلاق سراحه اذا تأسف على أقواله .

عدا عن ذلك فقد افترقنا عن ماط بالود ، وفهمت منه أنه سيعالج مطالبي وخاصة قضية نادر العفوري . كما أنني أبلغت عائلته بعد لقائي مع ماط بذلك .

ان ممثل الصليب الاحمر زارني أمس واقترح علي أن اكون حاضرا — يقول بسام — لدى تنفيذ أمر الطرد . قلت له انني أرفض تلقي مساعدته لان عمليات الطرد غير قانونية ولا أقبل أن تكون ذات صبغة عملية بواسطة حضوره .

افترقنا وقلبي مفعم بالامل أن يكون هذا كل شيء ، أن تكون هذه هي زيارتي الاخيرة اليه .

ونحن نفترق طلب مني نقل تحياته الى أبناء شعبه وأكد على صلابة رأيه وقراره احباط كل المؤامرات ، كما أرسل تحياته الى أولئك الاشخاص في اسرائيل الذين هبوا للدفاع عنه .

عندما رجعنا الى المكتب وصلت زوجته عناية ، كريم خلف وابراهيم الطويل . قرروا الانتظار عندي حتى تلقي

الجواب . حدثوني عن المقاومة الشعبية لقرار الطـــرد . ومن اقوال عناية شعرت الى اي مدى هي موحـــدة مدينة نابلس في نضالها ضد طرده . « سأرتب لك زيارة لبسام غدا اذا كانت هناك ضرورة لذلك » . قلت لها فابتسمت .

في الغرفة المجاورة انصتوا للاذاعة . اعلن المذيع أن القرار في موضوع بسام الشكعة أعاد الموضوع مجـــددا للجنة الوزارية لشؤون الامن وأن قرارا بهذا الشأن سيصدر قريبا . ورافقت النشرة تحليـــلات مفادها أن هناك كـــل الاحتمالات في الغاء قرار طرد بسام .

وبينما كنـــت اقلب الاوراق التي أمامي تنبهت الى أننا تأخرنا عن سماع الاخبار في موعدها . قمنا للساحة المجاورة وهناك فاجأني وجه عمر الذي كان شاحبا بصورة فجائيـــة قائلا : « فيليتسيا ، لقد أقروا قرار الطرد بالاجماع . » . دهشت . ناديت كريم وابراهيم بينما بقيت عناية في الغرفة مـــع عبد . لم يحاول الرجلان اخفاء أسفهما وخيبة أملهما العميقة . فكرت بعنايـــة . كيف سأبشرها بذلك ؟ دخلت الغرفة ، بدأت محادثة ولكنني لم اقل لها اي شيء بالرغم من أنني أعرف الى أي مدى هي قويـــة . صحفيو الاذاعة الذين وصلوا مكتبي لدى سماعهم بنبأ وجود عناية عندي ، قدموا لمساعدتي وهم الذين « بشروها » بالقرار . صمتت لحظة وقالت بجفاف : سنواصل نضالنا . عمليا . لم يحدث اي شيء . لم أكن انتظر منهم الانقاذ . لاننا لـــن نحصل عليه منهم . انني واثقة بعدالة قضية بسام ، لذلك فانني واثقة بأنه لن يطرد . كيف يمكن أن ينتصر الكذب والظلم ، بينما يوجد في العالم أشخاص جيدون ومستقيمون ، وهنا ايضـــــا » .

الاعلان الضخم الذي نشر في نفس اليوم في « الجروزلم بوست » مطالبا بالغـــاء أمر الطـــرد ضد بسام من قبـــل

« الاميركيين المهتمين بحقوق الانسان اينما كان وبارساء السلام العادل والثابت بين شعوب الشرق الاوسط » كان بمثابة مئة شاهد على قوة الاناس الطيبين والمستقيمين الذين اعلنوا تضامنهم مع بسام .

واصل المذيع تقديم التقارير عن الغليان الذي يسود المناطق وعن الدهشة التي حطت على رؤوس رؤساء البلديات الذين التقوا مع وايزمان من القرار الذي اقر الطرد ، وأعلنوا فورا عن تقديم استقالاتهم . وفي النهاية استقال كل رؤساء البلديات المنتخبين ورئيس بلدية غزة رشاد الشوا .

عضو الكنيست فلنر نقل للصحافة البيان التالي :

« تلقينا نبأ القرار بدهشة كبيرة . لقد اتخذ بعد أن اتضح للجميع أن الاقوال التي نسبت لبسام الشكعة ليست سوى تحريض دموي مخطط سلفا . ان قرار الطرد وضع كل من يرى في اتفاقات كامب ديفيد « والادارة الذاتية » موضع السخرية والاستهتار .

« ان هذا القرار تحد للشعب الفلسطيني ، لقوى السلام في اسرائيل والرأي العام العالمي . ان كتلة « حداش » في الكنيست تقدم اقتراحا لحجب الثقة عن الحكومة — كما أعلنا سابقا — وتأمل أن تنضم اليها كتل أخرى » .

في الغداة صدرت جريدة « هآرتس » تحمل العنوان « خطأ يتبع آخر » لافتتاحيتها يتضمن انتقادا شديدا للجنة الوزارية التي أقرت الطرد في الوقت الذي كان باستطاعتها فيه اخراج الحكومة من المازق الذي دخلت اليه بواسطة الفائه .

قابلني بسام بابتسامته العادية . لم يندهش ولكنه قال

أنه آن الأوان للبدء بأضراب عن الطعام ابتداء من يــوم غد ، السادس عشر من الشهر بعد أن يرسل رسالة الى الوزير وايزمان . في رسالته هذه يكتب بسام أنــه يعرف بنبأ القرار الاخير المتعلق بمواصلة اجراءات الطرد ضده . لقد كان واضحا بعد نشر بروتوكول المحادثة مــع ماط على الرغم من حذف أقوال أساسية لصالحه منه ، مــن الزيف القول أن بسام يؤيد القتل ، قتل النساء والاولاد وعليه فلا توجد اية قاعدة لاتخاذ أي اجراء ضده . وبعد أن فشلت المؤامرة ضــده يحاولون المس بــه بطريقة أخرى مدعين بوجود مادة أخرى ضده للمساس بثباته النفساني .

ان محاولة تقسيم القضية الى قسمين ـ الطـرد من الوطن واشغال منصب رئيس البلدية غير مقبول لديه . انه بريء من كل ذنب ، ويطالب باعادة حريته دون أي شرط . واذا لــم ينفذ طلبه سيبدأ منــذ يوم الغد ١٦ـ١١ـ١٩٧٩ اضرابه عن الطعام دون أي تقييد للوقت .

وفي نفس اليوم سلمني بسام تحيــة للحزب الشيوعي الاسرائيلي بمناسبة ٦٠ سنة لتأسيسه ولنضاله من أجــل قضية السلام ولتضامنه مع قضيته وقضية شعبه العربي الفلسطيني . وقد تليت التحية في المؤتمر الاحتفالي الــذي أقيم في تل أبيب .

اما في الضفة الغربية فقد ثـارت الاوضـاع . اضراب تجاري في كل مدن الضفة . في القــدس ايضا عم أضراب شامل . في نابلس دخــل اضراب المدينة التجاري يومــه الخامس . في مؤتمر رؤساء البلديات الذي أقيم في نابلس تقرر أن رؤساء البلديات لن يعودوا لمزاولة عملهم ولــن يتراجعوا عن قرارهم الاستقالة طالما أن بسام غير طليق ولا يشغــل منصب رئاسة البلدية . كانت القــرارات الاخرى للمؤتمر حاسمة : منظمة التحريــر الفلسطينية هــي الممثل

الشرعي للشعب الفلسطيني ولـــه الحـــق في تقرير مصيره واقامة دولته . كمـــا أدان المؤتمر بشـــدة اتفاقات كامب ديفيد ومشروع الادارة الذاتية .

الدراسة لم تنتظم في المدارس . قوى الامن أعلنت عن حدوث اطلاق نار في الهواء بعد أن رجم الطلاب دوريـــة للجيش بالحجارة على طريق اللطرون — رام‌الله . لـــم يكن مصابين . المستوطنون مـــن « نفيه تسوف » أجبروا السكان المحليين على ازالـــة الحواجز التي أقيمت فـــي طريـــق بير زيت .

في مؤتمر في جامعة بير زيت باشتراك رؤساء البلديات أديـــن قرار الطرد . كتلـــة « راكاح » في الكنيست قدمت اقتراحا بحجب الثقة عن الحكومة .

موجة الاحتجاج على الطرد في الولايات المتحدة أثمرت . عنوان مثير ظهر في احدى الصحف : « الولايات المتحـــدة تقترح على اسرائيل اعادة النظر بقرار طرد رئيس بلدية نابلس » . فانس أرسل وثيقـــة الى بيغن يقول فيهـــا ان الولايات المتحدة غير راضية عن قرار الطـــرد وذلك ليس لانها حريصة على حقوق الانســـان ، لانها هي التي تدفـــع ثمن أعمال القمـــع التي تقوم بها اسرائيل في المناطق منـــذ ١٩٦٧ ، ولكنها لم تستطع الصمود في وجه موجة الانتقادات الدولية في هذا الموضوع .

وتجدر الاشارة الى أن دول غرب أوروبا ايضا ادانت هذا القـــرار . صحفيون عديدون مـــن أوروبا تحدثـــوا معي وابلغوني بما تكتبه وسائل الاعلام في هذه القضية . فـــي البلدان الاشتراكية حظيت القضية بتغطيـــة واسعة . في الاتحاد السوفياتي كتبت « البرافدا » عدة مرات عن القضية مدينة سياسة القمع الاسرائيلية في المناطق المحتلة التي تعد قضية الشكمة وجها من وجوهها .

اوساط اخرى في اسرائيل انضمت لادانة الطرد . كل جهة لاسبابها الخاصة . يوسي سريد وصف القرار بهستيريا . « حوتام » ، ملحق عل همشمار كتب : يجب القول أن الشكعة وقع في المصيدة . وعمليا فقد وقعت فيها حكومة الليكود . » .

السادس عشر من نوفمبر بشرنا بنبأ لم نعرف مثله حتى الان : ١٣٢ دولة صوتت الى جانب قرار يدعو حكومة اسرائيل لالغاء الطرد . كان هذا التصويت الواسع ضد صوت واحد هو صوت الممثل الاسرائيلي . هذا التصويت الفريد من نوعه في تاريخ الامم المتحدة كان برهانا على مدى الاهمية التي حظي بها الموضوع الفلسطيني . ولا أحد يذكر غالبية كهذه الى جانب حرية الفرد وحقه . وقد أدرك الجميع أن المساس ببسام انما هو مساس بشعبه كله .

استمرت الاحتجاجات في العالم وحملات التضامن تواصلت . « زو هديرخ » نشرت بعضا منها :

* في مدن الضفة الغربية وقطاع غزة جرت المظاهرات والاجتماعات الاحتجاجية الغاضبة والاضرابات العامة لعدة أيام . رؤساء البلديات الذين شاركوا في هذه الاعمال وقدموا استقالاتهم منعوا بالقوة من قبل الحكم العسكري الاضراب عن الطعام بصورة جماعية تضامنا مع زميلهم .

* اضراب الجلوس النسوي في بلدية نابلس يستمر منذ ١١ يوما، وفود تضامن تزور النساء المضربات طيلة الوقت .

في يوم الاثنين ٩ـ١١ زارت النساء بعثة من لجنة حقوق الانسان والمواطن ولجنة السلام العادل . شارك في البعثة مردخاي ابي شاؤول الذي ألقى كلمات التضامن ويوسف الغازي .

* في جامعة النقب في بئر السبع نظمت لجنة الطلاب

العرب اجتماعا احتجاجيا رفعوا خلاله اللافتات ووزعوا المناشير . وجمعوا تواقيع طلاب ومحاضرين على عريضة احتجاجية اخرى . ونشرت لجنة السلام العادل بيانا في جريدة « هآرتس » (١٦–١١) نددت فيه بقرار طرد بسام الشكعة .

وفي ١٦–١١ جرت مظاهرة احتجاجية قرب بوابة سجن الرملة حيث بدأ بسام الشكعة اضرابه عن الطعام . واشتركت في المظاهرة منظمات « كامبوس » من جامعات تل أبيب والقدس وحيفا وممثلين طلابيين آخرين من كافة جامعات البلاد . وحضرت الى المظاهرة شخصيات واعضاء كنيست بينهم مايير فنلر والدكتور نعمي قيس والدكتور يسرائيل ليف والشاعر ييبي .

في ١٧–١١ يوم السبت أضرب كل السجناء السياسيين في سجن الرملة عن الطعام لمدة ٢٤ ساعة تضامنا مع بسام الشكعة . في الاضراب اشترك سجناء عرب ويهود .

وشهدت قرى المثلث اضرابات احتجاجية شملت قلنسوة والطيرة .

وفي واشنطن نظمت اللجنة الفلسطينية لحقوق الانسان حملة تضامن واسعة مع الشكعة .

ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية أرسل مذكرة احتجاج الى السكرتير العام للامم المتحدة كورت فالدهايم جاء فيها : ان موقفك ضد هذه الخطوة غير القانونية وغير الانسانية التي تسعى سلطات الاحتلال الاسرائيلي لتنفيذها ضد بسام الشكعة وتدخلك الشخصي لمنع ذلك ، تدعم الوقوف بوجه الارهاب .

واشار عرفات في مذكرته الى ان هذه الحملة والاجراءات

القمعية التي تنفذ ضد رؤساء البلديات ، والتحريض ضدهم تشكل جزءاً من حملة قمع عامة تهدف الى اقتلاع شعب من وطنه ، الامر الذي يشكل خرقاً لمواثيق الامم المتحدة وهلسنكي .

« هذا هو وطني .. هنا جذوري »

السادس عشر من هذا الشهر كان هو اليوم الذي بدأ فيه بسام الشكعة اضرابه عن الطعام . اطلعته على مقاطع صحفية من نفس اليوم . طلب مني ابلاغ الجميع انه يبدأ احتجاجه منذ اليوم . « هذا هو وطني ، هنا جذوري ، هنا حقي في الحياة » !

في مساء ذلك اليوم ظهر الوزير وايزمان في التلفزيون للحديث في قضية بسام الشكعة . لقد بدا كمن استصعب السرد مباشرة على اسئلة المذيع . ثقته بنفسه لم تظهر عليه هذه المرة . « سنرى ... فقد يخرج من القوة شيء جميل » . قال كمن ينهي الموضوع ولا يفسره . « الشكعة أيد الارهاب كوسيلة » . واضاف : « اذا كنت مضطرا للتخطيط ، فانني لن اخطط للموضوع هكذا » .

كان الشعور بعدم الارتياح مفهوما على خلفية الغضب الجماهير يالمتزايد ، وكل محاولات قمعه باءت بالفشل هكذا حدث مع اضراب رؤساء البلديات عن الطعام ، هذا الاضراب الذي جاء يوم جمعة ١٦—١١ أمام مكاتب الصليب الاحمر في غزة . فلم يسمح لرؤساء البلديات بالوصول الى غزة بأمر من الحاكم ، ولكن ممثلي كل وسائل الاعلام وصلوا اليهم وهم في طريقهم الى هناك . وعندنا ، تحرك « مشعل الظلام » مجددا ولم اشاهد ذلك على شاشة تلفزيوننا ، ولكن العالم كله شاهد ذلك عدانا . صعد رؤساء البلديات سوية على التلة المجاورة القريبة من الحاجز وتحدثوا الى الصحفيين ، وسلموا مراسلي الصحافة الاجنبية بيانات بهذه

الروح : « الجماهير كلها وراءنا والان فان العالم كله معنا بعد قرار مجلس الامن » .

وفي نابلس استمر اضراب الجلوس الذي بدأته عشرات النساء داخل مبنى البلدية منذ اكثر من أسبوع . وفي كلية النجاح اضرب الطلاب عن الطعام ليوم واحد ، وظهرت عناية أمامهموتحدثت عن قرار الطرد والنضال ضده ، الذي هو نضال ليس من اجل بسام كشخص ، بـل من اجل حـق الشعب في العيش بوطنـــه .

وفي دمشق تظاهر آلاف الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين ضـــد القـرار .

وحظر على رؤساء البلديات الاشتراك في صلاة فـي المسجد الاقصى ، مما أثـار الغضب أكثر فأكثـر ونشرته الصحافة العالمية باهتمام متزايد .

وبالنسبة لغزة نفسها فان فشل السلطات كان واضحا وذريعا . فمنذ أكثر من عشر سنوات حاولوا الفصل مـن الناحية المهنية بين غزة والضفة الغربية . وفي قضية بسام الشكعة بدتا موحدتان أمام أعين الجميع .

أصداء التضامن العالمي كانت تصلني متأخرة احيانا . وهكذا وصلني متأخرا خبر نشاطات التضامن في سويسرا من قبـل المنظمة السويسرية الفلسطينية وحركة السـلام السويسرية . ثم أبلغت بأن ٢٢ عضو برلمان في بازل يمثلون ٧ أحـزاب سياسية مختلفـة أرسلوا برقية لمناحيم بيغن يعربون فيها عن معارضتهم لخرق حقوق الانسان كما حدث مع بسام الشكعة رئيس بلديـة نابلس المنتخب من قبـل أبناء شعبه ، واطلبوا باطلاق سراحه الفوري.

وفي البلاد وصلت لبسام رسالة مـن أعضاء كيبوتس « كيرم شلوم » تعرب عن المعارضة الشديدة لقرار طرده

ويطالبون باطلاق سراحه فورا .

... وفي غضون ذلك عكفت على اعداد الالتماس المكمل لمحكمة العدل العليا في قضيته . ومما يذكر أن الالتماس الاول قدم قبل أن يصدر ضد بسام أمر الطرد وقبل أن نعرف تفاصيله المعروفة لنا الان . هذه المرة كان باستطاعتي تلقي رد بسام المباشر بصورة مذكرة على الاقوال التي نسبت اليه في محادثته الى ماط . قررت أن أضم الى الالتماس قصاصات صحف حول الموضوع لاظهار تسلسل القضية كلها أمام القضاة ، التي بدأت في الصحافة . والحقت بالالتماس مذكرة تعززه بتوقيع بسام . وهذا هو نص الالتماس : —

استكمال الالتماس وشرحه

١ — في ١٩٧٩/١١/١١ في الساعة الثامنة صباحا استدعي المستدعي الى الحاكم العسكري في نابلس وهناك علم بأنه صدر بحقه أمر طرد الى لبنان لاسباب أمنية وان من حقه الاستئناف على الامر أمام اللجنة الاستشارية للاستئنافات . لم يوقع المستدعي على الامر وطلب تسليمه لحاميته الموقعة ادناه . الموقعة أدناه لم تحصل على الامر حتى هذا اليوم . وفي نفس الحادثة قيل للمستدعي انه سيعتقل في سجن الرملة وسمح له بابلاغ أبناء عائلته بذلك تلفونيا .

٢ — وكما جاء في بند ٢ في الالتماس الاصلي ذكر اسم جريدة « هآرتس » منذ تاريخ ٧٩/١١/٧ ، وعن نشر المحادثة التي جرت بين المستدعي والجنرال ماط تقول المستدعية والمستدعى أن الاقوال التي نشرت على اسم المستدعى زورت بصورة مكشوفة .

٣ — في ٧٩/١١/١٢ نشرت هآرتس لمراسلها العسكري زئيف شيف ما كان من المفروض أن يكون بروتوكول أو تقرير حرفي تقريبا . وحسب أقوال المراسل المذكور حول المحادثة بين الجنرال ماط والمستدعي يمكن الوقوف على التزويرات الكثيرة للاصل كما جاء في بند ٢ من الالتماس الاصلي وبند ٢ لطلب التعديل المذكور .

٤ — يدعي المستدعي أن الصيغة المزورة في ملحق «ا» هـي التي أثـارت سلسلـة ردود الفعـل غير المسؤولة والهستيرية وشكلت سببا وقاعدة لاصدار أمر الطرد ضده .

٥ — بعـد نشر البروتوكول كما جاء في بند ٣ ترددت ردود فعـل في غالبيتها خطيرة لان قاعـدة الخطوات التي اتخذها المستدعى عليه ضد المستدعي مادت عندما وصفت صحيفة « دافار » القضية بأنها : الفأر ولد جبلا ، بقلـم محررة الصحيفة حنا زيمر من تاريخ ١٩٧٩/١١/١٣ .

٦ — يقول المستدعي أن المستدعى عليه بارتكابه خطأ خطيرا ولكن يجد مبررا للطرد ، ودون الاعتراف بالخطأ الذي ارتكبه أو ارتكبه من يخصه ، فقد واصل ايجاد مبررات طرده

٧ — سيدعي المستدعي استنادا على ما جاء في البندين ٢ — ٣ بأنه يعارض بكل قوته قتل الناس الابرياء من أية جهة كانت ويعارض سفك الدماء . لذلك يحـاول المستدعي ايجاد حل سلمي عادل للنزاع بين الشعبين ، الذي غيابه واستمرار الاحتلال الاسرائيلي هو الاسباب لسفك الدمـاء بينما يستطيع السلام فقط اجتثاث العنف من اية جهة .

٨ — يقول المستدعي أن المستدعى عليه يسعى لطرده بينما لا تمت اعتباراته للموضوع بصلة وليست نزيهة وذلك فقط لتبرير اعتباراته الخاطئة منذ البداية .

٩ — يقول المستدعي أن طرده الى بلاد أخرى يعارض القانون الدولي وحقوق الانسان الاساسية . الا أن طـرد

المستدعي الى لبنان في الوقت الـــذي تعرف فيــه معاملة الميجور حداد للفلسطينيين ليس الا تسليما للسجن يقتـــرن بمخاطرة على حياته ، بكل بساطة . وبما أن المستدعى عليه يعرف أن حكومة الاردن لا توافق على استقبال المبعدين من المناطق المحتلة ، فان القسوة لا يمكـــن أن تكون خـــارج هـــذا الاعتبـــار .

١٠ ــ المستدعي مقتنع بان الامر الاحترازي الذي صدر ضد المستدعى عليه والذي يحظر طرده يسري أيضا على الاعتقال كاجراء من الطرد نفسه .

١١ ــ وفي حالـــة عدم قبـــول القضاة الثلاثة المحترمين للتفسير هذا مثلما لم يقبله القاضي آشير ، يطلب المستدعي توسيع الامـــر الاحترازي الذي صـــدر ضد المستدعى عليه بصورة وشكل يضم كل اجراء اداري وقضائي قبل الطرد ويطلب اصدار أمر باطلاق سراح المستدعي من المعتقل ، وذلك حتى ناهية الاجراءات في التماسه ضد الطرد .

محامية الدفاع

فيليتسيا لانغر

* * *

وبدات الاقوال تتردد هنا وهناك عن وجود مادة سرية في القضيـــة . وكتب الصحي غبريئيل شتيرن في « عـــل همشمار » يقول : عشية البحث في محكمة العدل العليا بعد غد ذكرت « الجروزلم بوست » أمس امكانية قيام النيابة العامة بالتقدم بطلب تقديم مادة سرية لتبرير الطرد ؛ علـــى ما يبدو ازاء الادعاءات التي سمعت علانية أو أصبحت بالية أو أنها تبدو ضعيفة . ومن مقال في « هآرتس » يتبين أن الامر يتعلق بادعاءات حول دعوة للكفاح المسلح في « أوساط

مغلقة » تستطيع ، بالطبع ، ان تصل من جواسيس سريين ، ولن يسمح لمحامية الدفاع وزوجة المستدعي أن تطلع على المادة . وحسب بند ٤٤ من أوامر الادلة يستلزم الامر دراسة احد قضاة المحكمة العليا لا يكون من بين القضاة الثلاثة الذين يحضرون النقاش وفقط في حالة اقراره تستطيع المحكمة العليا قبول مادة سرية كهذه ، ومن المفهوم أن الامر يتم فقط في حالات غير عادية وفق المبدأ القائل أن العدل وفعلا عرفنا سلفا باحتمالات كهذه .

« الوطن » : مثل رائع
في القدرة على العطاء

لقد خرجت الضفة عن بكرة أبيها للدفاع عن القضية . وبلسان « الوطن » لسان حال التنظيم الشيوعي الفلسطيني المحظور في الضفة الغربية فان « هبة شعبنا المظفرة ضد محاولة ابعاد الشكعة كانت حافزا لتحقيق الانتصارات في النضال ضد الاحتلال والادارة الذاتية »

وتضيف « الوطن » في عددها الصادر في أوائل كانون ثاني ١٩٨٠ : — مرة اخرى ضربت جماهير شعبنا في الاراضي المحتلة مثلا رائعا في القدرة على العطاء النضالي والبسالة في التصدي للاحتلال والصلابة في الدفاع عن حقوقها الوطنية . وتكلل النضال العارم ضد قرار ابعاد المناضل بسام الشكعة بالنصر التام وباجبار المحتلين الصهاينة على لملمة غطرستهم والتراجع عن قرارهم الجائر وهم يجرجرون أذيال خيبتهم .

« ومنذ اللحظة الاولى أصبح واضحا أن قرار الابعاد ليس الا خطوة مدروسة ضمن سلسلة النشاطات الرامية الى تفكيك الحركة الوطنية وتهيئة الاجواء الملائمة لتمرير مؤامرة الحكم الذاتي .

« وكان جليا أن نضال جماهيرنا الفلسطينية ضد الابعاد لم يكن موجها للحيلولة دون ابعاد شخصية وطنية مرموقة عن أهلها ووطنها فحسب بل كان يجري ضد الدوافع الاساسية لاولئك الذين صنعوا القرار وخططوا له .

« واستطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية في الاراضي المحتلة أن تنتزع بجدارة زمام المبادرة في قيادة النضال ضد قرار الابعاد مستندة الى عمق ارتباطها بالجماهير ووضوح الرؤية السياسية لديها .

« وقد ساعدها ذلك ليس فقط على سرعة اتخاذ القرارات السليمة ، وخاصة قرار الاستقالة الجماعية للمجالس البلدية في الضفة الغربية بل وعلى تحقيق قيادة منظمة وناجحة للنضال الجماهيري . ولعبت الوحدة الوطنية التي تجلت بين قواها المختلفة دورا حاسما في الارتفاع بالنضال الى مستوى متقدم ، واكسابه طابعا حازما سد الطريق على كل محاولة للمراوحة والتردد .

« وبدون أي شك فان الهبة الوطنية العارمة ما كانت لتتكلل بالنجاح الباهر لولا استنادها الى عوامل القوة الفلسطينية التي أفشلت حتى الان وستفشل كل محاولة لتمرير مؤامرة الحكم الذاتي .

« وأول هذه العوامل ، المشاركة الواسعة للجماهير الشعبية وبأشكال مختلفة في النضال ضد الاحتلال . وقد لعبت التنظيمات الجماهيرية كالنقابات العمالية والاتحادات الطلابية والتنظيمات النسائية والنوادي والجمعيات المختلفة دورا بارزا في تنظيم وتوسيع هذه المشاركة واكسابها أكبر زخم ممكن .

« وقد كان لنشاط القوى التقدمية والديمقراطية في

اسرائيل ، وعلى رأسها الحزب الشيوعي الاسرائيلي الشقيق دور هام في تأمين تضامن فعال مع بسام الشكعة ومع النضال الجماهيري ضد ابعاده . وساعد ذلك النشاط من خلال الصحافة المحلية والعالمية ومن خلال أصوات النواب الشيوعيين الجريئة في الكنيست ، على فضح وتعرية سلطات الاحتلال وأسهم في اجبارها على التراجع عن قرارها . وبدون أية مبالغة فقد كان للرفيقة الشيوعية والامية الباسلة فيليتسيا لانغر الدور الرئيسي في الحيلولة دون تنفيذ قرار الابعاد فورا . وبنشاطها المتفاني وسرعة مبادرتها وبعد نظرها السياسي ، فقد أعطت هذه الرفيقة للجماهير الفلسطينية ولحركتها الوطنية الفرصة الكاملة لتفرض ، بنضالها ، على الاحتلال ، التراجع عن قراره .

« تماما مثلما قدم بسام الشكعة ، بصموده في السجن ، وصلابته في احباط المناورات والمساومات التي حاول الاحتلال اللجوء اليها ، الفرصة لجعل النصر كاملا وواضحا كالشمس .

« واذا كانت العزلة الفاضحة التي لحقت باسرائيل على الصعيد الدولي ، ووقوف الراي العام العالمي الى جانب شعبنا في نضاله ، قد أسهم في اخراج سلطات الاحتلال فأن نضال جماهيرنا البطولي قد ساعد على تحقيق مزيد من العزلة بحكام اسرائيل وعلى كسب المزيد لقضيته . وجاءت قرارات الامم المتحدة التي أدانت قرار الابعاد وطالبت بالغائه لتعكس بوضوح رفض العالم لسياسة اسرائيل العدوانية واضطهادها لحقوق الانسان الفلسطيني. واكدت هذه التجربة أن تضافر الجهود المحلية النضالية مع تأييد ودعم قوى التحرر والسلام والاشتراكية العالمية كفيل بتعزيز امكانيات الانتصار والحاق الهزيمة بالمعتدين واجبارهم على التراجع » .

وكتبت « كفاح الطلبة » التي يصدرها اتحاد الطلبة الفلسطيني في الضفة الغربية عن هذه القضية بنفس الروح المتفائلة .

وتحرك الشيوعيون في الضفة الغربية مؤكدين بنضالهم اليومي الدؤوب على مدى فاعليتهم في الاحداث السياسية ومقدرتهم في تحديد شكل وطبيعة النتائج المترتبة على هذا النضال .

« هل تريد بدء الدفاع بالهجوم »

يوم الاحد ؛ الخامس والعشرين من الشهر وعندما زرت بسام في السجن شاهدته شاحبا أكثر من قبل . حدثته عن قرار بلدية نابلس وكل المؤسسات الوطنية الذي أرسل اليه . وطلب عناية ايضا بوقف اضرابه . وأنا أيضا : « بسام . يطلبون منك ذلك » ، اضفت : « لا أستطيع التوقف يا فيليتسيا . يؤسفني ولكنني لا أستطيع الاستجابة لكل الطلبات . هذا هو السلاح الوحيد الذي تبقى لي للاحتجاج ضد الظلم والغبن اللاحق بي . هذا هو ما أستطيع أن أقدمه للنضال العام من أجل تحرره وحقه ، الذي يجري في الخارج ويقوم به الشعب . لا أوافق على أي تغذية اصطناعية وسأعارضها — لقد الح لذلك طاقم الاطباء الذي فحصني » . قال لي .

قمنا بتحليل الالتماس وخاصة كل ما يتعلق بالتغيير المفاجىء الذي حصل في ١٤—١١ في مواقف الوزير وايزمن شخصيا . وكتبت بعض الصحف أن الوزير غير رأيه بعد أن اتضح له أن منظمة التحرير الفلسطينية تؤيد استقالة كل رؤساء البلديات ؛ لذلك فقد فكر أن الغاء الامر سيعد خضوعا لمنظمة التحرير . على كل حال كان واضحا لنا أن

هذه التقديرات لا علاقة لها مع بسام الذي ليس مسؤولا عن أي عنصر خاصة وأن مصيره يجب الا يتأثر بتلك .
واذا كانت هذه هي تقديرات الوزير فانه اذن لا يوجد بين هذا وبين الاتهامات ، بقدر المستطاع ، ضد بسام أي شيء . وهذا لن تأخذه اللجنة بعين الاعتبار عندما ستظهر أمامها .

طلبت من بسام عدة تفصيلات بالنسبة لبعض ما نشر في الصحف . مثلا طلبت رأيه في ادعاء الوزير وايزمان بأن بسام حذر في لقاء سابق معه . بسام يتذكر تفاصيل اللقاء وقال لي انه فعلا في ٨ آب هذا العام استدعي الى الوزير. بدأت المحادثة بقول الوزير لبسام انه يحترمه لرأيه وانه على استعداد للدفاع عنه بشجاعة ، وأن وايزمان كان هكذا في شبابه .

الوزير قال لبسام انه ينفذ صراعا سياسيا وغيره في المناطق ضد السلطات وانه قد يعاقب على ذلك كما تتم معاقبة اعضاء المنظمات الفلسطينية . وأضاف ان بسام يعد ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في المناطق . وايزمان اضاف : « الطريق الى السلام تمر من حيفا (التي زارتها بعثة مصرية برئاسة السادات للمحادثة مع الاسرائيليين) .
واذا كان السلام يعنيك فانني سأسافر معك الى هناك للبحث في السلام . » .

بسام سأله ما هي نواياه عندما يتحدث عن « النضال الاخر . » . أجاب الوزير : « هل تريد بدء الدفاع بالهجوم ؟ » ... « لا .. ليس الامر هكذا ، فقط اردت أن توضح لي لكي أرد عليك » أجاب بسام . وايزمان أوضح أن القصد بالنشاطات الاخرى هي اشتراك بسام بمظاهرة ضد مستوطنة « الون موريه » بالاشتراك مع سكان نابلس.

بسام أجابه : « لا ، نحن لسنا ممثلي الشعب بل منظمة التحرير الفلسطينية ، التي هي ممثلنا وهذا معترف به في العالم العربي والعالم كله » .

بالنسبة للنشاطات السياسية فاننا لا نقوم بالنشاطات السياسية في غياب خطط او خط سياسي أو أية امكانية أخرى . وبالنسبة لـ « الون موريه » فان المظاهرة ونشاطات أخرى ليست سوى تعبيرا رمزيا عن آلامنا وسحق حقوقنا ... كيف يمكن أن تمنعونا من الاحتجاج وتضربونا يوميا وتمنعونا من التنهد ؟ » سأل بسام .

الفراق كان وديا ، ووعد وايزمان بسام بالتعاون في شؤون مدينته .

ــ « معروف لي أن كل سجين من نابلس تقريبا المتهم بالانتماء الى منظمة غير قانونية ، عندما يحقق معه يسألونه عن علاقاته بي . انهم يريدون ادانتي واسقاطي في الحفرة ... وهذا أمر صعب .. انهم حتى لا يتخذون اجراءات احتياطية » .. قال لي بسام .

أية أخلاق لديهم ، تساءل بسام بدهشة ، بعد أن افترقنا لم أنكر انه بعد نصف ساعة تقريبا ستذاع تفاصيل اللقاء ، بصورة مزورة ، في الراديو . هو فارقني بطريقة حسنة ، ونهت أيضا انه سيبحث في قضية نادر العفوري ، وهكذا أيضا أبلغت عائلته . » .

وخلال الزيارة في ذلك اليوم ، حدثني بسام عن اضرابه عن الطعام والتضامن معه من قبل السجناء العرب الذي بدأ في ١٣ــ١١ . « أنت تذكرين أنهم أخروك في البوابة الرئيسية بادعاء وجود خطأ في عدد السجناء ، في ذلك اليوم بدأ الاضراب ، ودخل السجانون للزنازين

وضربوا المعتقلين بشدة . » . اذن ، هذا هو الخطأ في العد . بعد عدة أيام ، وعندما التقيت عددا من الاشخاص سمعت منهم عن الاهانات والتنكيل الذي لحق بهم . أحد السجناء اطلعني على بقع الدم على بنطلونه من الضرب الذي لحقه في يوم « الخطأ في العد » .

خيبــــــة امـــــــل

عندما استفسرت من رؤساء البلديات الذين قابلوا وايزمان فهمت منهم أن اعتباراته لم تكن أمنية بالمرة . وأدلى رئيسيا بلديتي الخليل وبيت لحم بالتفاصيل حول لقائهم بوايزمان وخيبة أملهم من التصريح الذي اذاعه الراديو في ظهر يوم ١٤-١١-٧٩ عن اللجنة الوزارية لشؤون الامن الذي أعلن أن وايزمان أيد ابعاد الشكعة .

في غضون ذلك بدأت عناية اضرابها عن الطعام . أولا أمام مكتب رئيس الحكومة وبعد ذلك في مكتب الصليب الاحمر في شرقي القدس . شاركتها الاضراب نساء من الضفة وممثلات منظمات نسائية . رؤساء البلديات قدموا للتضامن معها . وابلغت عناية ممثلي وسائل الاعلام : « ان الطرد المرتقب لزوجي مؤامرة دنيئة ، وأنا مستمرة في اضرابي عن الطعام حتى تتراجع الحكومة عن نواياها . » .

وتحدثت عناية أن زوجها ضعف جسمانيا وفقد من وزنه عشرة كيلو غرامات ولكنه من الناحية المعنوية صلب ومعنوياته عاليــــة .

دخل اضراب بسام عن الطعام يومه الحادي عشر ولا يوجد هناك أي أمل بأنه سينهيه .. نابلس أضربت تجاريا . زرت في ٢٦ الشهر بسام بصحبة وليد الفاهوم وعبد عبلي . كان هذا يوم زيارات للسجناء القابعين في السجن . أهالي

السجناء نسوا أنفسهم وأبناءهم : « المهم أن تنجحي مـــع بسام ... الله معك » . هذه الكلمات ترددت مرات ومرات في السجن . عندما طالعتني عينا بسام ازدادت دقات قلبي ... لاجله ... عيناه تحولتا الى رمز للنضال مـــن أجل حق الشعب في أن يعيش في وطنـــه ، والى رمـــز للارادة المصممة على الانتصار في النضال العادل هذا .. أنه قوي وموحد ، وجذوره قوية ، وهكذا بدأت أومن أنه سيثمر .

خلال هذه الزيارة حدث شيء أسموه « بالصفقة » . وليس من المعقول مناقشة التفاصيل الان . كـــان عنوان « معاريف » الرئيسي في ذلك اليوم : « القدس : اذا قدم استقالته ، سيتم بحث قرار الطرد مجددا .. الشكعة : لـــــن أستقيـــل » .

وهذا نص الخبر : اذا قدم رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة استقالته من منصبه وأدان الارهاب فان الحكومة قـــد تعيد النظر في قرار طـــرده مجددا . ليس المقصود « صفقة » وقرار الحكومة واجراءات الطرد مستمرة ،ولكنه موقف أوساط رسمية في القدس والذي على ما يبدو بحث أمس في القدس في اللجنة الوزارية لشؤون الامن .

لانغـــــر : الشكعـــــة

لـــــــن يستقيـــــل

« محامية الشكعة ــ يضيف الخبر ــ فيليتسيا لانغـــر أبلغت مراسلنا هذا الصباح أن الشكعـــة غير مستعد بأي شكل من الاشكال للاستقالة من وظيفته كرئيس بلدية . ونفت وجود أنباء تظهر موكلها كما لو كان مستعدا للقيام بذلك مقابل أية تسوية مع الدولة » .

لم يوافق ولو للحظة أحد من رؤساء البلديات أن على

بسام الاستقالة . عناية زوجته كانت مستعدة للتنازل عن عودة بسام زوجها الى البيت على أن يتنازل عن وظيفته التي اختـــاره اليها شعبه . بسام نفسه ادان واستنكر الاقتراح ورأى فيه مؤامرة : « ان أي مساس برئيس بلدية هو مؤامرة لاجبار الشعب على قبول خطة الادارة الذاتية التي هي سكين في قلب الشعب » . قال بسام .

لم يخضع للتهديدات ، ورفض ساخرا من الاقتراح ، ولم يكن مستعدا لشراء حريتـــه بأي ثمـــن . ولكن الامال بتركيعه لم تتوقف . النائب العسكري الرئيسي اقترح على تأجيل مباحثات اللجنة وانا فهمت أن هناك من يفكر أنـــه خلال هذه الفترة سيعود ويتراجع عن تصلبه ويستقيل .

* * *

اذن ، لقد دخلت الحكومة مصيـــدة ، ودخلت فـــي تعقيدات لم تعرفها ، كيف تتخلص من اعتبارات زائفة ، ومن رغبة في تجاوز ضباطها الذين ادخلوها لهذه التعقيدات، وتقف أمام الراي العام في البلاد ، والعالم .

وكتبت الصحف بهذه اللهجة عن « مقدرة الحكومة على تعقيد نفسها .. » .. « معاريف » في افتتاحيتها يـــوم ١٧ــ١١ اجادت في التعبير عـــن حال الحكومة . ودعـــت الصحيفة الحكومة الى « انهاء القضية المؤلمة بسرعة ــ الى هنا أو هناك . » .

جلسة أخرى للجنة العسكرية تأجلت ... والامـــور تتلاحق .. تقرر عقد جلسة أخرى في ٢٨ــ١١ الساعـــة الرابعة بعد الظهر في سجن الرملة . كل واحد كان بامكانه أن يشعر أن اللجنة تجتمع في جو انتقاد عام ضد الطرد ،

بينما دعت الصحافة الحكومية في ذلك اليوم للتراجع عن مواقفها . « هآرتس » كتبت في ذلك اليـوم تقول : — « على الحكومة أن تتسلح بالقـوة وتميز أن عليها دفـع الثمن — ثمن الخطأ الذي فعلته . والغاء امر الطرد دون انتظار قرار لجنة الاستئناف العسكرية ، ومحكمة العـدل العليا ، والتخلي عن فكرة انها تستطيع الخروج من القضية بربح متواضع — عزل بسام الشكعة مـن منصبه كرئيس لبلدية نابلس ... ان التراجـع التام هـو الان المخرج المحترم الوحيد من العقدة » .

في صباح ذلك اليوم عقد رؤساء البلديات مؤتمرا لهم في بلدية نابلس اشترك فيه حوالي ٢٠ رئيس بلدية . وفـي البيان الذي صدر عن المؤتمر دعا رؤساء البلديات الـى حملة احتجاج واضراب عام في كافة أنحاء الضفة ، اضراب يشمل العمال والمواصلات — اذا تم تنفيذ أمر طرد رئيس بلديـة نابلـس .

كان هـذا ردا على موقف السلطات المتعنت . ومـن المؤتمر خرج رؤساء البلديات الى سجن الرملة حيث كانت اللجنة تستعد لبدء مباحثاتها .. علمت أن النائب العـام يعكوف أور يرئس الجلسـة ، وهـو رئيس المحاكـم العسكرية في الضفة ... ما حدث هو أن التعتيم الكامل فرض على الجلسة ومنعنا من الادلاء بأي تفصيل او تصريح .

خلال ذلك اقتنعت بسام بضرورة انهاء اضرابه عـن الطعام ، استجابة لنداء رؤساء البلديات وأبناء شعبه وبلده.

وخلال ذلك ، استمرت الاخطاء الناجمة عـن الكبرياء التي تمرغت فيما بعد ، بالوحل .

تعتيم كامل ، وافواه مغلقة ، بالدعوى اياها : امور امنيـة . بدأوا يتحدثون عن « صندوق اتهامات » ضـد

الشكعة ، يصفه بأنه مسؤول أمني كبير (أن لم يكن الاول) في منظمة التحرير الفلسطينية في الضفة الغربية وغير ذلك . كل هذا كان مدعاة للسخرية من الحكومة التي دخلت مرحلة العد الناقصة .. الى الوراء .. حيث ...

الكبرياء ... والوحل
وكرامة الذين على حق

رفضت اللجنة توصياتها ... في وقت متأخر اعلن في الاذاعة على لسان الجنرال بن اليعازر أنه درس كل المادة التي قدمت اليه ، وتوصيات اللجنة ، ومنحتني ان ادرس مجددا الموضوع . وبعد أن تشاورت مع المسؤولين عني ، وبعد أن درسنا بعناية كل توصيات اللجنة ، قررت الغاء أمر الطرد ...

وهذا ما أعلنه بن اليعازر في مؤتمر صحفي في بيت ايل ... قال ان اعتبارات كثيرة أدت به الى الغاء أمر الطرد ... اولها صالح مدينة نابلس وأبناء عائلة الشكعة ولم ينس بن اليعازر القول أنه حذر الشكعة .

أعلن المذيع أيضا أن الشكعة أحضر الى بيت ايل في ساعات الصباح وأنه خرج من هناك الى نابلس .

ونقل المذيع رد فعلي الذي اعربت فيه عن ارتياحي التا مللقرار . خرجنا الى نابلس ... سافر معنا في السيارة عمر وسلمان ... كنت لا أفكر الا بهذه اللحظات العظيمة التي حزنا عليها ... التي نعيشها . نابلس ، عندما وصلناها ، كانت خلية نحل ... « شكرا لكم ، أعلن بسام الذي حملته الالوف على أكفها ، انني مدين لكم بحريتي . » .

بعد ساعة من الاعلان عن قرار الغاء طرد بسام هناه ماير فلنر من على منبر الكنيست بالقول : انني اريد بهذه المناسبة أن اعرب عن فرحي من على منبر الكنيست وعن فرح الكثيرين لاطلاق سراح بسام الشكعة من السجن والغاء أمر الطرد الذي صدر ضده . اننا نبارك كل أولئك الذين ساعدوا العدل لينتصر ، وساهموا في اطلاق سراح بسام الشكعة . كان ذلك بفضل موقف رؤساء البلديات الموحد ، ولكن الشعب الفلسطيني ، كان ذلك بفضل معارضة غالبية الرأي العام في أسرائيل للطرد : طرد رئيس بلدية منتخب من وطنه . كان هذا بفضل قرار الجمعية العمومية بالاجماع وبفضل الدفاع القضائي المحذر والناجح برئاسة المحامية الشجاعة فيليتسيا لانغر التي اضافت الاحترام للشعب اليهودي في اسرائيل . ويجب على الحكومة أن تدرس وتتعلم من فشلها ، فشل سياستها العاملة ضد الاهداف الحقيقية لشعب اسرائيل » .

* * *

مرة اخرى : الطريق الى نابلس ... مبنى البلدية مثل خلية نحل بالمهنئين ... عبر الجموع وصلت الى غرفة مغلقة كتب على يافطة معلقة على بابها : « رئيس البلدية » . نقرت على الباب بخفة وفتحته ، بسام يجلس بالقرب من طاولته . لمحني ، ابتسم ، : « هذه اللحظة بالذات كان اسمك على شفتي ... ولم انه الجملة حتى فتحت الباب ... » ... قام ، ... وحولنا باقات الورود ...

ــ « جئت لرؤيتك هنا ، لمشاهدة رئيس البلدية في مكتبه » . قلت له .

افكر ، بيني وبين نفسي : ماذا ينتظر هذه المدينة في ظل الاحتلال ... مدينة عظيمة هي نابلس ... لا احد حتى الان استطاع من تركيعها .. برغم الاحتلال .

مع ذلك ، فقد طالته ايديهم . كان أسلوبهم هذه المرة القتـــل . ليس نسج خيـــوط مؤامرة مفضوحـــة ، ليس مصيـــدة ، على اختـــلاف انواعها . لا محاكم ، كشفت المتآمرين ... وليس اقوالا .

عليه ان يعاقب لانهم لم يتمكنوا من طرده ، لانه أظهر انه محق ، لانه اظهر انه لا يؤيد القتل بل يؤيد السلام ، طالب سلام ، هو ، يعاقب لان الكل ايده ، وشعبه توحد حوله ، حتى غالبية الشعب في اسرائيل كانت بمثابة سند له ، يعاقب لانه لم يخن مبادئه ، يعاقب لان الشعب يحبه، وهـــو يحب شعبـــــه .

القنابـــل انفجـــرت مع الصباح في رام اللـــه ونابلس والبيرة . كريم خلف وبسام الشكعة أمروا أن يدفعوا حياتهم ثمنا . ابراهيم الطويل نجا بأعجوبة . في سوق الخليل جرح سبعة اشخاص ، نتيجة انفجار عبوة تخريبية وضعت في ذلـــك الصبـــاح .

اليد « الخفية » عملت في المناطق الخاضعة لمراقبـــة جيش الدفاع الاسرائيلي الشديـــدة . كيف ، قـــد يسأل سائل ؟ الجواب مثير للرعب !

بقوا في الحياة . كريم فقـــد قدم رجله وبسام فقـــد رجليــــه معـــا .

ارضية الساهـــة التي يحبهـــا بسام كانت مغطـــاة بدمـــه ، واولاده وقفوا بالقرب من السيارة التالفة التي

بقيت فيها رجلاه . عناية ، المحاربــة ، الزوجة المحبوبة تضاءلت بشحوبها وغطى ضباب كثيف عينيها من شدة الالم.

اطلقت الرصاصات علــى المستشفى والغاز المسيــل للدموع في غرف المرضى ، والشبان المتقدة عيونهم ، وعلم فلسطين الذي ارتفع عاليا ، وكانت هناك ابتسامة بسام الاطباء الذين وقفوا حوله ، وأي . ابتسامة شاقة ولكنها منتصــرة . ابتسامة لم أر مثلها لاحتى الان .

السم وحـــزن بــلا حــدود .

وكــان غضب . غضب الشعب . فقط ، المتوحشون لا يخشون غضب الشعب ، وقبضته المتكورة ــ قبضـــة طفل، وبريق العداء في عيون الفتيات ، ومن ادانة شعبهم هم لانهم يفرضون عليه عـــار القمـــع والقتل ــ قتـــل الشعـــب الاخـــر .

مع ذلك ، فالعزاء في انه على قيد الحياة ، في انهــم لم يقدروا عليه ، وانسان له قلب كقلبه سيشعر بأرض الوطـــن حتى دون ان يطاهـــا ...



في اثنـــاء محاكمـــة خلــف والطويل



بسام الشكعة امام البلدية لدى وصوله اليها مساء



مظاهــرة امام المحكمــة الاسرائيلية العليا للمطالبة باطــلاق ســراح بسام الشكعــة



ستمشـي ... هـذا طريقـه



حوار مع عمال شركة كهرباء القدس . يبدو في الصورة
امين سر نقابة العمال



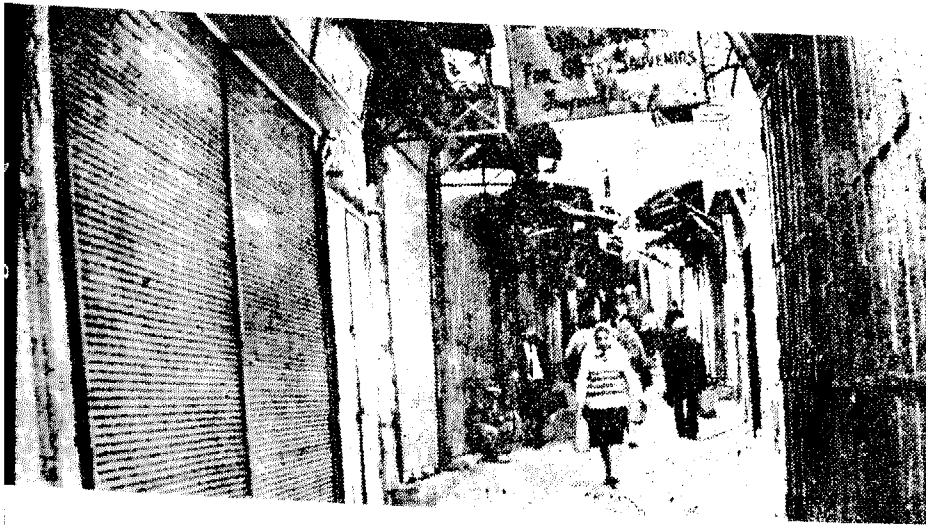
يا كريم ويا بسام
الشعب أقوى من الظلام



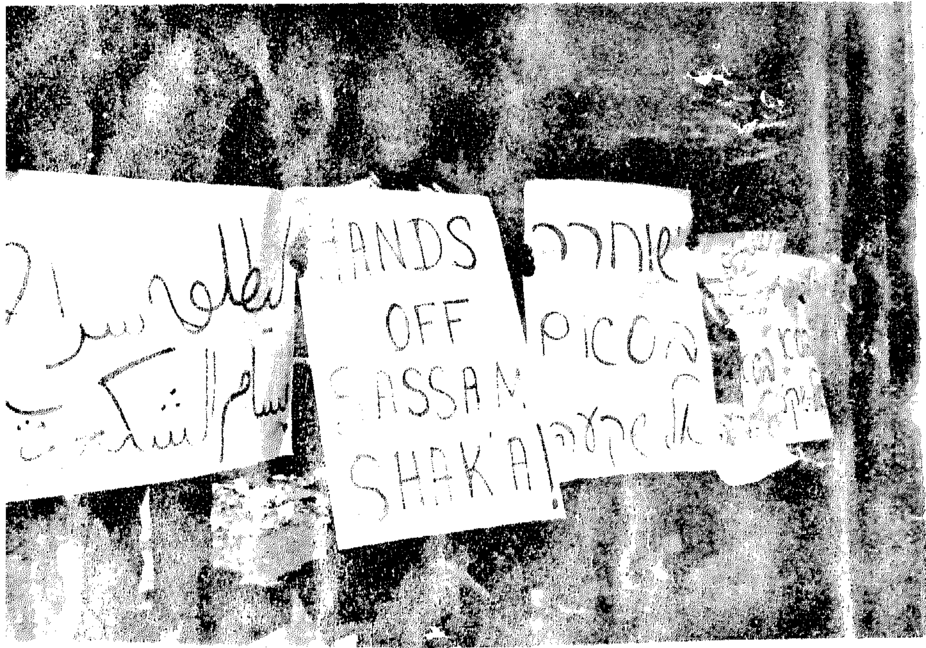
مؤتمـــــر بيـــت لحـــم



مظاهــرة تضامــن



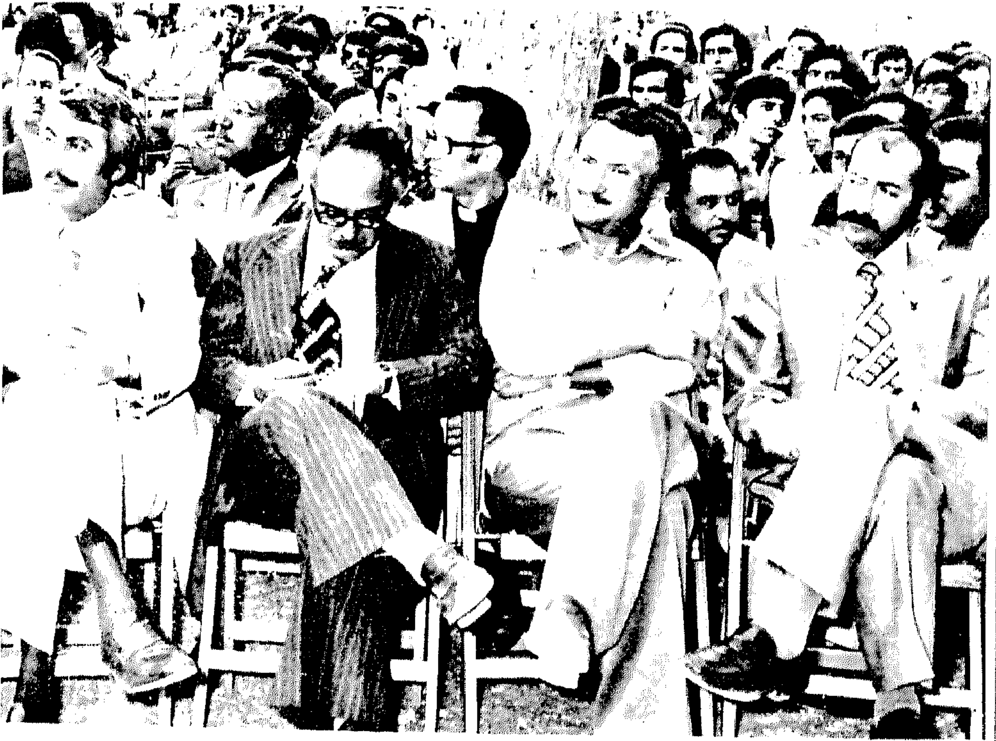
الاضراب في مدن الضفة الغربية



هكذا بدت الساحه امام المحكمه العليا الاسرائيلية
في كـل مـرة قـدم اليها الشكعـة



بسام الشكعـــة في مستشفى رفيديا مباشرة ،
فـــور محاولـــة الاغتيـــال الجبانـــة



مؤتمـــر عـــام ...
باشتراك الشكعة وخلف والقواسمي والطويل



اللقـــاء الاول
أيـادي الجماهير تحتضـــن الشكمـة



فـــي جســـر الاحـــزان



سيارة الاسعاف لدى وصولها منزل الشكعة في رفيديا



عائدا من عمان عبر جسر اللنبي
حيث قلوب الجماهير

دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب/١٤/٥٥٢٨

الاتحاد العام
للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

السعر [redacted] ل أو ما يعادلها .